

# الأدب النسائيّ في العربية

## **Women's Literature in Arabic ©**

Course material (Arabic)

AC1542- Core Course IX

S5, BA Communicative Arabic (First Degree Programme) under CBCSS

University of Kerala

Prepared by Dr. N. Shamnad, Dept. of Arabic, University College, Thiruvananthapuram-34

Email: shamnadmail@gmail.com

## المحتويات

### • الوحدة الأولى

- ١.١ المقدمة
- ١.٢ الأدب النسائي في العالم العربي
- ١.٣ ملامح الأدب النسائي: نماذج
- ١.٤ أدبيات عربيات في العصر القديم
- ١.٥ شاعرات عربيات في العصر الحديث
- ١.٦ كاتبات عربيات في العصر الحديث
- ١.٧ الأسئلة للمراجعة

### • الوحدة الثانية : مختارات من الشعر النسائي

- ٢.١ الخنساء - لهفي على صخر فأنني أرى له
- ٢.٢ عائشة التيمورية - تهجد الشوق لقد غلبا
- ٢.٣ نازك الملائكة - الكوليرا
- ٢.٤ فدوى طوقان - الشاعرة والفراشة

### • الوحدة الثالثة : مختارات من النثر النسائي - I

- ٣.١ مَيّ زيادة - أنا والطفل
- ٣.٢ نوال السعداوي - إهدار الدم
- ٣.٣ قمر كيلاني - الجثة.. وشجرة زيتون

### • المصادر المهمة

## الوحدة الأولى

### ١.١ المقدمة

الأدب نتاج إنساني عامّ سواء كتبه رجل أو امرأة طالما يملك المقومات الفنية والأدوات المعبرة. ولكن القيم والمضامين قد تبدو بين الرجال والنساء مختلفة، إذ نجد أن النساء المبدعات يحرصن على التعبير عن قضاياهن بصورة لا يجيد التعبير عنها غالباً سوى المرأة. وعلى مرّ التاريخ، كان للمرأة العربية دور بارز في الحياة الأدبية والثقافية، فكانت الخنساء وسكينة بنت الحسين من الأديبات المشهورات، واشتهرت ليلي الأخيلية في العصر الأموي بأشعارها الرقيقة. وظهرت في البيئتين الأندلسية وشاعرات كثيرات من أمثال: ولادة بنت المستكفي، وبثينة بنت المعتمد بن عباد، وعائشة القرطبية، ونزهون الغرناطية وغيرهن. وبلغ عددهن ٢٤٢ شاعرة في تاريخ الأدب العربي. أما في العصر الحديث فقد ارتادت المرأة الحياة الأدبية والثقافية، كانت لعائشة التيمورية، ونازك الملائكة، وعائشة بنت الشاطي، وأمثالهن دور بارز في عصر عمالقة الأدب المعاصر.

### ١.٢ الأدب النسائي في العالم العربي

إن مصطلح "الأدب النسائي" يفيد عن معنى الاهتمام وإعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة الأدبي، وليس عن مفهوم ثنائي-أنثوي وذكوري - يضع هذه النتاج في علاقة اختلاف ضديّ - تناقضي- مع نتاج الرجل الأدبي. لقد ازدهر الأدب النسائي في العالم العربي في القرنين العشرين والحادي والعشرين. إن سبب ازدهار فكرة الأدب النسائي يعود إلى ازدهار حركات تحرر المرأة في العالم بشكل عام وفي العالم العربي بشكل خاص، خاصة بعد استقلال بلاد العرب، وحملات محو الأمية، والاعتماد على المرأة ومشاركتها في كافة المجالات التنموية، بعد إن كانت مهمشة وأمية وبعيدة عن الأضواء.

إن حضور المرأة العربية على مستوى كتابة الشعر يأتي في المرتبة الأولى، ويتوازي مع حضورها على مستوى كتابة القصة القصيرة، يليهما حضورها على مستوى كتابة الرواية فكتابتها لأدب الطفل والمسرحية وكتابة السير الذاتية والمذكرات، بما يعني هنا أن ثمة حضوراً فعلياً على مستوى كل الأجناس الأدبية الرئيسية في جميع أقطار عربية. ويشهد العالم الأدبي العربي نشاطاً متزايداً لترجمة كتابات الأديبات العربيات إلى اللغات الأجنبية. تقدم بعض الكاتبات العربيات إبداعهن باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية، من أمثال ثريا جورج أنطونيوس وأهداف سويف. إن الكتابة باللغة الإنجليزية ليست نفيًا، وإنما خيار ترجحه خلفية المبدعة وذائقتها وتبحرها في الأدب الأجنبي. وتبقى أندريه صعب شديد، الكاتبة المصرية ذات الأبوين اللبنانيين، أكثر الكاتبات العربيات إنتاجاً باللغة الفرنسية، بحيث يصل إنتاجها الأدبي، الذي يشتمل على الرواية والقصة والشعر والحكايات والمسرحية والخيال العلمي، إلى أكثر من ثلاثة وخمسين عملاً.

فإن الأدب بقلم نسائي تأتي ضرورته من حيث أنه يعبر عن كائن بشري له مقوماته الفزيولوجية والسيكلولوجية. تعبر كتابات المرأة عن معاناتها من قمع الرجل وممارسته الاستبدادية عليها، وتتحدث بلسان شخوص قصصها عن مجمل مشاكلها، وتطالب من خلال تلك الشخوص بحريتها وحقوقها. قد كثر الجدل والحديث عن أدب المرأة، وهناك العديد من الأقلام التي ترفض مسألة التصنيف على أساس الجنس، وترى في الأمر شيئاً من المبالغة واللاواقعية وتقول إن الأدب يعني كلا الجنسين وليس جنسا دون آخر.

لقد استطاعت المرأة الدخول إلى عالم الأدب بثقة كبيرة رغم العقبات التي تحاول وضعها جانبا. واستطاعت المرأة الخروج من عباءة الرجل وتسجيل هوية خاصة بها. وتشهد على ذلك كاتبات مبدعات في عالم الأدب كالدكتورة نوال السعداوي من مصر، والكاتبة الجزائرية المميّزة أحلام مستعانمي، والروائية السورية غادة السمان، والمغربية فاطمة المرنيسي، إضافة إلى مجموعة من القاصات والشاعرات التي لا تتسع الصفحات لذكر أعمالهن الأدبية. يتهم بعض الناس كل امرأة تتقن الكتابة الأدبية بأنها متمردة ومهملة لواجباتها الاجتماعية والحياتية! لكننا، في حقيقة الأمر، نجد الكثير من الأدبيات يمثلن أنموذجا للمرأة الجميلة الأنيقة الزوجة الأم.... التي استطاعت ربط جميع الخيوط في يديها.. فلم تتخلى عن مهامها الاجتماعية اليومية.

إن استعمال مصطلح "الأدب النسائي" يعود، في العالم العربي، إلى مرحلة النهضة التي أدرك فيها المتنورون أهمية دور المرأة في نهوض المجتمع بمشاركتها في النشاطات الاجتماعية والثقافية والإنتاج الأدبي. في مرحلة النهضة العربية، عرفت اللغة العربية مجموعة من المفردات تخص نشاطات المرأة وتشير إلى ما يبذل من أجلها، مثل: تعليم النساء (في ١٨٨١)، أسست السيدتان إملي سرسق ولبيبة جهشان أول معهد علم للفتيات)، والجمعيات النسائية (أنشأت سيدات بيروت جمعية "زهرة الاحسان في ١٨٨٠، وفي ١٩١٤، جمعية "يقظة الفتاة العربية")، والمجلات النسائية (أصدرت هند نوفل مجلة "الفتاة" في ١٨٩٢ بالإسكندرية، ومديحة الصابوني مجلة "المرأة" في ١٨٩٣ بحلب، ولبيب هاشم مجلة "فتاة الشرق" في ١٩٠٦، وعفيفة كرم مجلة "المرأة السورية" في ١٩١١)، والصالونات الأدبية النسائية (صالون مريانا مراش في حلب، وصالون الأميرة نازلي فاضل، وصالون مَيّ زيادة في القاهرة). مثل هذه النشاطات ظهرت مفردة "النسائية"، فإن "النسائي" يشير، وفي شكل أساس، إلى حيز دال على حضور المرأة ونشاطها في الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية. وبالنظر في خطاب المرأة الأدبي، إن المرأة بهذا الخطاب تعلن عن وجودها ككائن مبدع. إن خطاب المرأة، الموصوف بالنسائي، هو خطاب يؤكد حضورها الذاتي ويميزه. يضم "النسائي" في الخطاب الأدبي العربي معنى الدفاع عن الأنا الأنثوية، بما هي ذات لها هويتها المجتمعية والإنسانية.

### ١.٣ ملامح الأدب النسائي : النماذج

تعتبر رواية "أنا أحياء" (١٩٥٦) لليلي بعلبكي (كاتبة لبنانية) كأولى الروايات النسائية الحديثة. لقيت الرواية نجاحا كبيرا في الأوساط النقدية. ففي الرواية تتمرد لينا فياض، بطلة الرواية، على الرجل بصفته في مواقع السلطة في المجتمع (أب، ورئيس شركة، وأستاذ جامعي، وحزبي). لينا فياض، ومن خلفها المؤلفة الضمنية، تتمرد ضد القمع وليست ضد

رجل يودّ، كما تقول، أن يشبك بذراعه ذراعها. لم تكتب المرأة ضد الرجل الإنسان حين تناولت في كتاباتها الإبداعية العلاقة بين الأنوثة والذكورة، بل كتبت ضد أيديولوجيا السلطة الذكورية، وضد وعي ذكوري سائد غير مدرك. كتبت المرأة لتعبر عن سبل تستعيد بها الأنثى ثقنتها بذاتها المفقودة، فتحكي لنا مدى، بطلّة رواية "شجرة الحب غابة الأحزان" (٢٠٠٠) لأسيمة درويش (سعودية من أصل سوري)، عن غربتها في وطنها الذي يتسيد فيه الرجل، وعن استعادتها لذاتها في بلاد الغربية التي وفّرت لها العلم والحب والحرية. يسعى خطاب العلاقة الضدية بين الأنوثة والذكورة، في أدب المرأة العربية إلى تمييز الأنوثة بإضاءة دلالات المرتبطة بالهوية واللغة والحياة. وفي "غرناطة" (١٩٩٤)، و"مريمة والرحيل" (١٩٩٥) لرؤى عاشور (مصرية)، تبرز الأنثى بصفاتها حافظة للغة العربية ولتراثها.

إن بعض ما قدمته المرأة من أعمال أدبية، خاصة في مرحلة الريادة، لا يقوم على أساس علاقة الأنوثة والذكورة، ومع هذا يوضع تحت يافطة "الأدب النسائي": فرواية "حسن العواقب" (١٨٩٩) لزينب فواز (١٨٤٤-١٩١٥)، مثلاً، يقوم على أساس من الصراع بين الأمراء الإقطاعيين على السلطة، وليس على أساس من علاقة بين الأنوثة والذكورة. كذلك تتركز الحكاية في رواية "قلب الرجل" (١٩٠٤) للبيبة هاشم (١٨٨٢-١٩٥٢) على ما جرّته أحداث سنة ١٨٦٠ من ويلات على اللبنانيين، ذكورا وإناثا، وذلك على حد انتماءاتهم الطائفية. ومع تقدم كتابة المرأة الروائية تبرز رواية "الباب المفتوح" (١٩٦٠) للطيفة الزيات (مصرية) كعلامة على علاقة وثيقة بين ما هو ذاتي، أو أنا أنثوي، وما هو مجتمعي تحرري مشترك.

في رواية "ذاكرة الجسد" (١٩٩٣) لأحلام المستغامي (جزائرية) تتعلق المرأة بالوطن، ويبرز العشق وثيق الصلة بالشهداء الذين يخلصون ويضحون من أجل أوطانهم، في مقابل الذين يبيعون بالمال هذه الأوطان. كما تستوقفنا، في هذا الصدد، روايات وقصص عدة منها: رواية "مراتيح" (١٩٨٥) لعروسية النالوتي (تونسية) التي تقدّم صورة جيل يعيش قلق الأسئلة الصعبة، ورواية "الإقلاع عكس الزمن" (١٩٨٠) لإميلي نصرالله (لبنانية) التي تحكي عن الحرب والغربة والتعلق بالجذور، ورواية "ليل نهار" (١٩٩٧) لسلى بكر (مصرية)، ورواية "بيروت ٢٠٠٢" (٢٠٠٣) لرينية الحايك (لبنانية)، ومجموعة غادة السمان (سورية) القصصية، "رحيل المرافئ القديمة" (١٩٧٣)، ومجموعة هاديا السعيد (لبنانية) القصصية "رحيل" (١٩٨٩). ففي هذه الأعمال السردية يمتزج الخاص بالعام، ويتداخل الذاتي والاجتماعي على نحو فني يدعو إلى نسبتها إلى الإبداع أكثر مما يحمل على نسبتها إلى أدب نسائي.

مارست المرأة الروائية التجريب، وتوسلت عناصر من التاريخ مضمرة سؤالا حول معنى الحقيقة وعلاقة المتخيل الروائي بالسرد التاريخي، كما تجاوزت القواعد التقليدية في السرد وأساليبه، شأن رؤى عاشور (مصرية) في روايتها "قطعة من أوروبا" (٢٠٠٣)، وشأن نجوى بركات (لبنانية) في عودتها إلى التراث في روايتها "لغة السر" (٢٠٠٤) وطرح أسئلتها المضمرة على المقدّس في رموزه اللغوية. وشأن رجاء عالم (سعودية) في روايتها "سيدي وحدانه" (١٩٩٨) التي تستعيد فيها فصاحة العرب وتحبي ثراء لغتهم.

لقد قدمت المرأة العربية الكاتبة أنماطا من البناء تحدثن بها السرد العربي على خلفية منظور فكري يقول بالاختلاف على أساس التعدد والتنوع، وليس على أساس من معايير قيمية تضم الأنوثة ضد الذكورة أو دونها. وكما في تحديث السرد، ساهمت المرأة، بصفتها شاعرة، في تحديث القصيدة العربية شأن نازك الملائكة التي كان لها، بقدر ما كان للشاعر بدر شاكر السياب، فضل الريادة في نقل القصيدة العربية من شعرية الوزن والقافية إلى شعرية الشعر الحر.

#### ١.٤ أدبيات عربيات في العصر القديم

##### الخنساء (٥٧٥-٦٦٤م)

تماضرت بنت عمرو بن الحرث المعروفة باسم الخنساء بنت عمرو، كانت شاعرة رثاء في العصر الجاهلي، وكانت تسكن في إقليم نجد. لقبت بهذا الاسم بسبب ارتفاع أرنبتي أنفها. عاشت أيضا في عصر الإسلام، وأسلمت بعد ذلك. تعد الخنساء من أشهر شعراء الجاهلية، وقد قامت بكتابة الشعر خصوصا بعد رحيل أخويها صخر ومعاوية. وطغى على شعرها الحزن والأسى والفخر والمدح. قال عنها النابغة الذبياني: "الخنساء أشعر الجن والإنس". وبرغم أنها كانت شاعرة متمكنة من اللغة لها قصائد كثيرة إلا أن شهرة الخنساء قد ذاعت وانتشر صيتها في كل مكان من خلال مراثيها لأخيها صخر التي ذاعت وتداولها الناس في الجاهلية.

قتل أخوها معاوية في ٦١٢، كما قتل أخوها الآخر صخر في ٦١٥ في محاولته بالثأر على دم أخيه. وقيل أن الخنساء أصيبت بالعمى من شدة بكائها على موت أخيها. وكان صخر هو أحب أخوان الخنساء إلى قلبها. حيث كان حليما جودا محبوبا بين أبناء العشيرة، وكان يقف دائما إلى جانبها يمد لها يد العون ويرعاها. ولما قتل أخوها صخر ظلت تراثيه، وذاع صيت مراثيها أو بكائيتها بين العرب حيث أصبحت مراثيتها الحزينة الأكثر تداولاً من باقي أشعارها. حينما علمت ببعثة النبي محمد ﷺ، قدمت على النبي ﷺ مع قومها بني سليم فأسلمت معهم. وقيل أن رسول الله ﷺ كان يعجب بشعرها. وعندما دارت المعركة في يوم القادسية استشهد أولادها الأربعة واحدا بعد واحد، وحينما بلغ الخنساء خبر مقتل أبنائها الأربعة قالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته". توفيت الخنساء مع مطلع خلافة عثمان بن عفان.

##### الخرنق بنت بدر (ت. ٥٧٤م)

الخرنق بنت بدر من بني ضبيعة، البكرية العدنانية، شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة بن العبد لأمه. وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها بشر بن عمرو بن مرشد سيد بني أسد وقتله بنو أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية)، فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة. لها ديوان شعر صغير.

## سكينة بنت الحسين بن علي (٦٦٦-٧٣٥م)

هي أمنة بنت الحسين بن عليّ. إن السيدة سكينة تحتل مكانا هاما من حيث الاهتمام بالشعر والنقد. وهي رائدة نساء عصرها، وقد عرفت بذوقها الأدبي ونقد الشعر والغناء. وكان الشعراء والرواة يتحاكمون إليها فتنقدتهم، تدور معظم الأحكام النقدية لسكينة حول غرض الغزل، ولما كانت المرأة أدرى بأخلاق النساء. وكان نقد سكينة من قبيل النقد المؤسسي على خبرة بـ"سيكولوجية" المرأة، أو عالمها النفسي. كانت سكينة تفضل غزل جرير على غزل الفرزدق. لم نجد من شعرها إلا أبياتا قليلة قالتها ترثي أباها الحسين، ولقلة شعرها شك بعض الباحثين في كونها شاعرة.

### ليلى الأخيلية (ت. ٧٠٤م)

ليلى الأخيلية هي ليلى بنت عبد الله الأخيلية من بني عقيل من عامر بن صعصعة. كانت شاعرة عربية عرفت بجمالها وقوة شخصيتها وفصاحتها، عاصرت صدر الإسلام والعصر الأموي عرفت بعشقها المتبادل مع توبة بن الحمير. لها العديد من دواوين الشعر في العشق والرثاء وجم ذلك الرثاء فيمن تعشقه وهو توبة، كان بينها وبين الشاعر النابغة الجعدي مهاجاة. توفيت ليلى في العراق. وليلى الأخيلية كانت شاعرة فصيحة جميلة، اشتهرت بأخبارها مع عشيقها توبة بن الحمير، وفدت على عبد الملك بن مروان، فسألها: ما رأى توبة فيك حتى عشقك؟ قالت: ما رأى الناس فيك حتى جعلوك خليفة؟ يرى الكتاب القدماء أن أجود شعرها هو ما رثت به توبة.

### رابعة العدوية (٧١٨-٨٠١)

رابعة العدوية وتكنى بأُم الخير، عابدة ومتصوفة تاريخية وأحد الشخصيات المشهورة في عالم التصوف الإسلامي، وتعتبر مؤسسة أحد مذاهب التصوف الإسلامي وهو مذهب العشق الإلهي. ولدت رابعة في البصرة. تختلف رابعة عن متقدمي الصوفية الذين كانوا مجرد زهاد ونساك، ذلك أنها كانت صوفية بحق،



يدفعها حب قوي دفاق، كما كانت في طليعة الصوفية الذين قالوا بالحب الخالص، الحب الذي لا تقيده رغبة سوى حب الله وحده. لرابعة العدوية موهبة الشعر الفريدة، وتأججت تلك الموهبة بعاطفة قوية ملكت حياتها، فخرجت الكلمات مناسبة من شفيتها تعبر عن ما يختلج بها من وجد وعشق لله، وتقدم ذلك الشعر كرسالة لمن حولها ليحبوا ذلك المحبوب العظيم.

## ١.٥ شاعرات عربيات في العصر الحديث

عائشة التيمورية (١٨٤٠-١٩٠٢)

عائشة التيمورية هي عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا، شاعرة مصرية ولدت في أحد قصور "درب سعادة"، وهو أحد أحياء درب الأحمر حين كانت تلك المنطقة مقرا للطبقة الارستقراطية ولعائلاتها العريقة، وهي ابنة إسماعيل باشا تيمور رئيس القلم الإفرنجي للديوان الخديوي في عهد الخديوي إسماعيل. وهي أخت الأديب أحمد تيمور، وعمة محمد تيمور، ومحمود تيمور. لها ديوان بالعربية باسم (حلية الطراز) وآخر بالفارسية، ولديها رسالة في الأدب بعنوان "نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال". لديها رواية بعنوان "اللقا بعد الشتات" وتركت رواية أخرى غير مكتملة بخط يدها. نشرت عائشة في جريدة الآداب والمؤيد عددا من المقالات، عارضت فيها آراء قاسم أمين ودعوته إلى السفور. ومن آثارها الأدبية الأخرى «مرآة التأمل في الأمور» وكتاب يضم مجموعة من القصص باسم «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال».



وردة اليازجي (١٨٣٨-١٩٢٤)

وردة بنت ناصيف اليازجي شاعرة لبنانية. كانت ابنة الشاعر ناصيف اليازجي، وأخت إبراهيم اليازجي. ولدت في لبنان، وعاشت وتوفيت في مصر. عملت واردة معلمة في مدارس بيروت، وبعد ارتحالها إلى مصر (١٨٩٩)، عملت بمدارس الإسكندرية الطائفية، مثل: مدارس راحيل عطا زوجة بطرس البستاني. كانت لها مراسلات أدبية مع أدباء مصر وسورية، أمثال وردة الترك، وعائشة التيمورية، وعيسى إسكندر المعلوف، وغيرهم. لوردة ديوان «حديقة الورد» (١٨٦٧) ورسائل كثيرة متبادلة بينها وبين أدباء عصرها، ذكر بعضها عيسى إسكندر المعلوف في كتابه «الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية»، ولها مقالات نشرت في مجلات عصرها، خاصة مجلة "الضياء" لأخيها إبراهيم اليازجي. لها قصائد عديدة في رثاء الراحلين من أهلها، مما رشحها لتلقب بخنساء العصر. ولها قصائد في ذم الجهل، والدعوة إلى العلم، وأخرى في الفخر بعروبيتها. كانت واردة شاعرة مناسبات، ولم تغادر المؤلف من أغراض الشعر السائدة الذي يتنوع موضوعيا بين والغزل والرثاء. وتهيمن على شعرها المتناسبات الطلاوة اللفظية، وبساطة المحتوى كما كان سائدا في عصرها.



نازك الملائكة (١٩٢٣-٢٠٠٧)

هي شاعرة وكاتبة عراقية، رائدة الشعر الحر في الشعر العربي. كانت تجيد اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية. كانت أستاذة في جامعة بغداد وجامعة البصرة ثم جامعة الكويت. حصلت نازك على جائزة البابطين عام ١٩٩٦، كما أقامت دار الأوبرا المصرية يوم ٢٦ مايو ١٩٩٩ احتفالاً لتكريمها بمناسبة مرور نصف قرن على انطلاقة الشعر الحر في الوطن العربي. عاشت في القاهرة منذ ١٩٩٠ في عزلة اختيارية وتوفيت بها في يونيو ٢٠٠٧. يعتقد الكثيرون أن نازك الملائكة هي أول من كتبت الشعر الحر في عام ١٩٤٧، ويعتبر البعض قصيدتها المسماة "الكوليرا" من أوائل الشعر الحر في الشعر العربي. سجلت





نازك مع بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، وشاذل طاقه في اللوائح بوصفهم رواد الشعر الحديث في العراق. أهم مجموعاتها الشعرية: عاشقة الليل، وشظايا الرماد، وقرارة الموجة، وشجرة القمر، ومأساة الحياة وأغنية للإنسان، والصلاة والثورة. ونازك الملائكة إلى جانب كونها شاعرة رائدة فإنها ناقدة متميزة، وقد صدر لها: قضايا الشعر الحديث، والتجزيئية في المجتمع العربي، ودراسة في علم الاجتماع، وسايكولوجية الشعر. وشعرها شعر امرأة من أحببت أن تعيش وأن تحب. وفي شعرها أنغام اليأس مع تشاؤم من الوجود وإهمال الحقيقة.

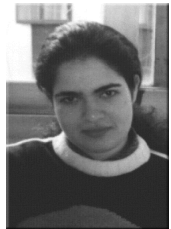
### فدوى طوقان (1917-2003)

فدوى طوقان إحدى أهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين. مثل شعرها أساساً قويا للتجارب الأنثوية في الحب والثورة واحتجاج المرأة على المجتمع. وبعد كارثة ١٩٦٧، تخرج فدوى لخوض الحياة اليومية الصاخبة بتفاصيلها، فتشارك في الحياة العامة لأهالي مدينة نابلس تحت الاحتلال، وتبدأ عدة مساجلات شعرية وصحافية مع المحتل وثقافته. تعدّ فدوى طوقان من الشاعرات العربيات القلائل اللواتي خرجن من الأساليب الكلاسيكية للقصيدة العربية القديمة خروجاً سهلاً، وحافظت فدوى في ذلك على الوزن الموسيقي القديم والإيقاع الداخلي الحديث. ويتميز شعر فدوى طوقان بالمتانة اللغوية والسبك الجيد، مع ميل للسردية والمباشرة، كما يتميز بالغنائية وبطاقة عاطفية، تختلط فيه الشكوى بالمرارة والتفجع وغياب الآخرين. على مدى ٥٠ عاماً، أصدرت الشاعرة ثمانية دواوين شعرية من أمثال: "وحدي مع الأيام"، و"وجدتها"، و"أعطنا حبا"، و"أمام الباب المغلق"، و"الليل والفرسان"، و"على قمة الدنيا وحيداً"، و"تموز والشيء الآخر"، و"اللحن الأخير" (٢٠٠٠)، عدا عن كتبها في السيرة الذاتية "رحلة صعبة، رحلة جبلية" و"الرحلة الأصعب". وقد حصلت فدوى على جوائز دولية وعربية وفلسطينية عديدة، وحازت تكريم العديد من المحافل الثقافية في بلدان وأقطار متعددة.



### سوزان عليوان (١٩٧٤ - )

سوزان عليوان شاعرة ورسامة لبنانية، ولدت في بيروت من أب لبناني وأم عراقية الأصل. بسبب الحرب في وطنها، قضت سنوات الطفولة والمراهقة بين الأندلس وباريس والقاهرة. تخرجت عام ١٩٩٧ من كلية الصحافة والإعلام من الجامعة الأمريكية بالقاهرة. تعيش سوزان الآن في وطنها الأم ببيروت. صدرت لها عدة كتب خاصة، منها: عصفور المقهى، ومخبأ الملائكة، ولا أشبه أحداً، وشمس مؤقتة، وما من يد، وكائن اسمه الحب، ومصباح كفيف، ولنتخيّل المشهد، وكراكيب الكلام، وبيت من سكر، وكل الطرق تؤدي إلى صلاح سالم (٢٠٠٨).



### جمانة حداد (١٩٧٠ - )

جمانة حداد كاتبة ومترجمة وصحافية لبنانية. تعمل جمانة حداد مسؤولة عن الصفحة الثقافية في جريدة "النهار" اللبنانية، ورئيسة تحرير لمجلة "جسد" الثقافية المتخصصة في آداب الجسد وعلومه



وفنونه. تولت بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١١ مهمة التنسيق الإداري للجائزة العالمية للرواية العربية (أو الـ"بوكر" العربية)، وهي الآن عضو في مجلس أمناء الجائزة. تتقن جمانة سبع لغات، ولها ترجمات في الشعر والرواية والمسرح لعدد من الأدباء العرب والعالميين، منها "انطولوجيا الشعر اللبناني الحديث" بالإسبانية. أجرت سلسلة من الحوارات مع مجموعة كبيرة من الكتاب العالميين، من أمثال باولو كويلو، وجوزيه ساراماغو وآخرين. نالت عام ٢٠٠٦ جائزة الصحافة العربية، ونالت في أكتوبر ٢٠٠٩ جائزة "شمال جنوب" للشعر في بيسكارا، إيطاليا. اختيرت في أكتوبر ٢٠٠٩ واحدة من أبرز ٣٩ كاتبا عربيا تحت سن التاسعة والثلاثين، في إطار مشروع بيروت ٣٩. وهي عضو في هيئة الكتاب والمطالعة في وزارة الثقافة اللبنانية. أصدرت جمانة مجموعات شعرية عدّة نالت صدى نقديا واسعا في لبنان والعالم العربي، كما ترجم بعضها إلى لغات أجنبية. لها في الشعر: وقت لحلم، ودعوة إلى عشاء سرّي، ويدان إلى هاوية، ولم ارتكب ما يكفي، وعودة ليليت، والنمرة المخبوءة عند مسقط الكتفين، وعادات سيئة، ومرايا العابرات في المنام. ولها في النثر: هكذا قتلت شهرزاد (٢٠١٠)، صدر في ١٣ لغة في العالم، منها العربية. ولها في أدب الأطفال: رواد يولد من جديد (٢٠١١). ولها في الترجمة: بيروت عندما كانت مجنونة، رواية، انطونيو فيراري، عن الإيطالية.

## ١.٦ كاتبات عربيات في العصر الحديث

ميّ زيادة (١٨٨٦-١٩٤١)

مي زيادة شاعرة وأديبة ومترجمة لبنانية-فلسطينية، ولدت في فلسطين. كان اسمها الأصلي ماري إلياس زيادة، واختارت لنفسها اسم ميّ فيما بعد. أتمت دروسها في لبنان، ثم هاجرت مع أسرتها إلى القاهرة عام ١٩٠٧. وفي القاهرة، خالطت ميّ الكتاب والصحفيين، وأخذ نجمها يتألق كاتبة مقال اجتماعي وأدبي ونقدي، وباحثة وخطيبة. وأسست ميّ ندوة أسبوعية عرفت باسم (ندوة الثلاثاء)، جمعت فيها - لعشرين عاما - صفوة من كتاب العصر وشعرائه. وقد أحبّ أغلب هؤلاء الأعلام ميّ حبا روحيا، ألهم بعضهم روائع من كتاباته. أما قلب ميّ زيادة، فقد ظل مأخوذا طوال حياتها بجبران خليل جبران وحده، رغم أنهما لم يلتقيا ولو لمرة واحدة. ودامت المراسلات بينهما لعشرين عاما: من ١٩١١ وحتى وفاة جبران بنيويورك عام ١٩٣١. ربما قليلون فقط يعرفون أن ميّ زيادة عانت الكثير، وذلك بعد وفاة جبران فأرسلها أصحابها إلى لبنان، فأساءوا إليها وأدخلوها إلى مستشفى الأمراض العقلية لمدة تسعة أشهر. وهبّ المفكر اللبناني أمين الريحاني وشخصيات عربية كبيرة إلى إنقاذها، ورفع الحجر عنها. وعادت ميّ إلى مصر، ثم سافرت إلى إيطاليا لتتابع محاضرات في جامعة بروجيه عن آثار اللغة الإيطالية، ثم عادت إلى مصر لتتوفّى بالقاهرة في أكتوبر ١٩٤١.



حاولت ميّ أن تسكب أحزانها على أوراقها وبين كتبها، وكانت تتقن ست لغات. نشرت ميّ مقالات وأبحاثا في كبريات الصحف والمجلات المصرية. أما الكتب، فقد كان باكورة إنتاجها ديوان شعر كتبتّه بالفرنسية في ١٩١١ وأول أعمالها بالفرنسية "أزاهير حلم" ظهرت عام ١٩١١، ثم صدرت لها ثلاث روايات نقلتها إلى العربية من اللغات الألمانية

والفرنسية والإنكليزية. وفيما بعد صدر لها عدة مؤلفات، منها: باحثة البادية، وكلمات وإشارات، والمساواة، وظلمات وأشعة، وبين الجزر والمد، والصحائف، وابتسامة ودموع، ورجوع الموجة، وسوانح فتاة، وغاية الحياة.

### سميرة عزام (١٩٢٧-١٩٦٧)

سميرة عزام، أديبة فلسطينية، التي تلقت دراستها في عكا وحيفا، وانتقلت مع عائلتها إلى لبنان لفترة قصيرة عندما وقعت النكبة عام ١٩٤٨، ثم سافرت إلى العراق وعملت في مجال التدريس لمدة عامين، ثم عادت بعدها إلى لبنان وباشرت بالكتابة لبعض المجالات (الأديب والآداب وغيرها). وفي عام ١٩٥٢ عملت بمحطة "الشرق الأدنى" للإذاعة العربية كمذيعة ومحررة. وفي عام ١٩٥٧ تزوجت من أديب يوسف الحسن في بيروت، وعادت معه إلى بغداد وهناك تعاقبت مع إذاعتي بغداد والكويت حيث شغلت منصب مراقبة للبرامج الأدبية، كما شاركت في تحرير جريدة "الشعب" مع بدر شاعر السياب. وفي ١٩٦٣، نالت جائزة القصة القصيرة لـ "أصدقاء الكتاب" في بيروت على مجموعتها "الساعة والإنسان".



كانت سميرة أديبة وكاتبة تبشر بمستقبل مشع ومضيء. اعتبرت واحدة من ثلاث كاتبات فلسطينيات اشتهرن في الخمسينات من القرن العشرين. كانت تجربتها الأدبية مستمدة من نظرة واقعية للحياة، ولكنها نظرة تحكمها الضوابط الأدبية، وقد أجادت في تصوير العديد من مناحي التجربة الإنسانية، ومنها تجارب المرأة المتنوعة في الثقافة العربية. تنبثق قصصها من الملاحظة للسلوك الإنساني ذات الصبغة الفلسطينية. توضح أعمالها أنها كانت كاتبة قصة قصيرة متميزة فيما يخص تجربة الأنثى على الصعيد الاجتماعي، وحياة المرأة الفلسطينية وفيما يخص التجربة الفلسطينية في عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي. فهي بالإضافة للأديب الراحل الشهيد غسان كنفاني كانت خير من مثل القصة القصيرة الفلسطينية في تلك الفترة من الزمن الفلسطيني الصعب. وكانت كتاباتها في زمن النكبة تدل على وعيها وحسها الوطني العالي. حافظت سميرة عزام في أعمالها الأدبية على رسم معاناة الشعب الفلسطيني خاصة في المخيمات والشتات. فبدا وجود وحضور المرأة والفقير والقهر والقداء والعناء حضورا قويا في أعمالها. لسميرة عزام عدة مجموعات قصصية منها "أشياء صغيرة" و"الظل الكبير" و"قصص أخرى" و"الساعة والإنسان" و"العيد من النافذة الغربية" كما أن لها رواية لم تكتمل بعنوان "سيناء بلا حدود" بالإضافة لبعض القصص القصيرة التي لم يتسنى لها نشرها. كانت سميرة رائدة القصة القصيرة، وقدمت للقصة القصيرة العربية شكلا فنيا مميزا.

### سهير القلماوي (١٩٩٧-١٩١١)

سهير القلماوي باحثة وكاتبة وناقدة أدبية مصرية كبيرة ورائدة من رائدات حقوق النساء في مصر. كانت أول مصريه تأخذ شهادة الدكتوراه في الآداب عن (ألف ليلة وليلة) سنة ١٩٤١. ولدت سهير القلماوي في طنطا بمصر. بدأت تكتب في مجلات (الرسالة)، و(الثقافة)، و(أبولو) وهي في السنة الثالثة من دراستها الجامعية، وحصلت على ليسانس قسم العربية واللغات الشرقية عام ١٩٣٣. مثلت



سهير مصر في العديد من المؤتمرات العالمية. كما أعطت سهير الفرصة لأكثر من ٦٠ أدبيا لتقديم مؤلفاتهم عندما قامت بإصدار سلاسل أدبية سُميت "مؤلفات جديدة"، ومن ناحية أخرى وضعت أسسا للطرق الأكاديمية في تحليل الأدب والفن. حصلت سهير القلماوي على جائزة الدولة التقديرية لمصر في الآداب سنة ١٩٧٧. من أهم مؤلفاتها: أحاديث جدتي، وألف ليلة وليلة، وأدب الخوارج، وفي النقد الأدبي، والشياطين تلهو، وثم غربت الشمس، والمحاكاة في الأدب، والعالم بين دفتي كتاب، وذكرى طه حسين. ترجمت العديد من الكتب والقصص، وأيضا عشر مسرحيات لشكسبير، ومن أبحاثها: المرأة عند الطهطاوي، وأزمة الشعر.

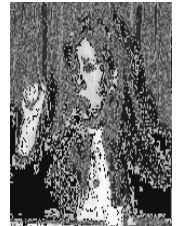
### عائشة بنت الشاطي (١٩١٢-١٩٩٨)

عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطي هي مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تحاضر بالأزهر، ومن أوليات من اشتغلن بالصحافة في مصر وبالخصوص في جريدة "الأهرام"، وهي أول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية. كانت بنت الشاطي كاتبة ومفكرة وأستاذة ونموذجاً للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفسها بالإسلام، فمن طفلة صغيرة على شاطي النيل في دمياط إلى أستاذة للتفسير والدراسات العليا واللغة العربية في جامعات المغرب ومصر والسودان والجزائر ولبنان والإمارات والسعودية. بدأت عائشة النشر منذ كان سنها ١٨ سنة في مجلة النهضة النسائية، وكانت ثاني امرأة تكتب بمجلة الأهرام بعد مي زيادة. وكان لها مواقف فكرية شهيرة، واتخذت مواقف حاسمة دفاعاً عن الإسلام، وكان أبرزها موقفها ضد التفسير العصري للقرآن الكريم زودا عن التراث، ودعمها لتعليم المرأة واحترامها. حصلت عائشة على الكثير من الجوائز منها جائزة الدولة التقديرية في الآداب في مصر عام ١٩٧٨م، ووسام الكفاءة الفكرية من المغرب، وجائزة الأدب من الكويت عام ١٩٨٨م. كما منحتها العديد من المؤسسات الإسلامية عضوية لم تمنحها لغيرها من النساء مثل مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وأيضا أطلق اسمها على الكثير من المدارس وقاعات المحاضرات في العديد من الدول. من أبرز مؤلفاتها هي: التفسير البياني للقرآن الكريم، والقرآن وقضايا الإنسان، وتراجم سيدات بيت النبوة، وكذا تحقيق الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات، ولها دراسات لغوية وأدبية وتاريخية أبرزها: نص رسالة الغفران للمعري، والخنساء الشاعرة العربية الأولى، وقيم جديدة للأدب العربي، ولها أعمال أدبية أشهرها: على الجسر... سيرة ذاتية.



### غادة السمان (١٩٤٢ - )

غادة أحمد السمان هي كاتبة وأديبة سورية ولدت في دمشق لأسرة شامية، ولها صلة قرى بالشاعر السوري الكبير نزار قباني. أصدرت مجموعتها القصصية الأولى "عينك قدرتي" في العام ١٩٦٢، واعتبرت واحدة من الكاتبات النسويات اللواتي ظهرن في تلك الفترة، مثل كوليت خوري وليلى بعلبكي، لكن غادة استمرت واستطاعت أن تقدم أدبا مختلفا وتميزا خرجت به من الإطار الضيق لمشاكل المرأة والحركات النسوية إلى آفاق اجتماعية ونفسية وإنسانية. عملت غادة في الصحافة،



وصارت واحدة من أهم نجومات الصحافة هناك يوم كانت بيروت مركزا للإشعاع الثقافي. كانت هزيمة ١٩٦٧ العربية بمثابة صدمة كبيرة لغادة السمان وجيلها، كتبت عنها مقالها الشهير "أحمل عاري إلى لندن". لم تصدر عادة بعد الهزيمة شيئا لفترة من الوقت. في أواخر عام ١٩٧٤، أصدرت روايتها "بيروت ٧٥"، وما لبثت أن نشبت الحرب الأهلية بعد بضعة أشهر من صدور الرواية. مع روايتها "كوابيس بيروت" و"ليلة المليار" تكرست عادة كواحدة من أهم الروائيات العرب. ويعتبرها بعض النقاد الكاتبة العربية الأهم حتى من نجيب محفوظ. صدرت عنها عدة كتب نقدية وبعده لغات، كما ترجمت بعض أعمالها إلى سبعة عشر لغة حية، وبعضها انتشر على صعيد تجاري واسع. لا تزال عادة تنتج، صدرت لها "الرواية المستحيلة: فسيفساء دمشقية" بمثابة سيرة ذاتية عام ١٩٩٧، وسهرة تنكزية للموتى عام ٢٠٠٣. تعيش عادة السمان في باريس منذ أواسط الثمانينات. من مؤلفاتها الأخرى: زمن الحب الآخر، والجسد حقيبة سفر، والسباحة في بحيرة الشيطان، وختم الذاكرة بالشمع الأحمر، والبحر يحاكم سمكة، ولا بحر في بيروت.

### نوال السعداوي (١٩٣٠ - )

نوال السعداوي طبيبة، وناقدة وكاتبة وروائية مصرية ومدافعة عن حقوق الإنسان وحقوق الإنسان بشكل خاص. ولدت في مدينة القاهرة، وحصلت على بكالوريوس الطب والجراحة وتخصصت في مجال الأمراض الصدرية. وفي عام ١٩٥٥، عملت كطبيبة امتياز بالقصر العيني، ثم فصلت بسبب آراءها وكتاباتها بقرارات من وزير الصحة. وهي متزوجة من



الدكتور شريف حتاتة وهو طبيب وروائي ماركسي اعتقل في عهد الرئيس عبد الناصر. أسست جمعية تضامن المرأة العربية في العام ١٩٨٢، وهي جمعية تهتم بشؤون المرأة في العالم العربي. تعرضت نوال السعداوي للسجن في ١٩٨١، كما تعرضت للنفي نتيجة لآرائها ومؤلفاتها، كما تم رفع قضايا ضدها من قبل إسلاميين مثل قضية الحسبة للتفريق بينها وبين زوجها، وتم توجيه تهمة "ازدراء الأديان" لها، كما وضع اسمها على ما وصفت بـ"قائمة الموت للجماعات الإسلامية المتطرفة" حيث هددت بالموت. صدر لها ٤٠ كتابا أعيد نشرها وترجمة كتاباتها لأكثر من ٣٥ لغة، وتدور الفكرة الأساسية لكتابات نوال السعداوي حول الربط بين تحرير المرأة والإنسان من ناحية وتحرير الوطن من ناحية أخرى في نواحي ثقافية واجتماعية وسياسية. منها: مذكرات طبيبة، والمرأة والجنس، وأوراق حياتي، ومذكراتي في سجن النساء، والزرقاء (مسرحية)، وقضايا المرأة المصرية السياسية والجنسية، ومعرفة جديدة في قضية المرأة، والإنسان اثني عشر امرأة في زنزانة، ورواية موت الرجل الوحيد على الأرض، ورواية امرأة عند نقطة الصفر، والرجل والجنس، والأنثى هي الأصل، ورواية امرأتان في امرأة، والمرأة والصراع النفسي، والوجه العاري للمرأة العربية، ورحلاتي في العالم، ورواية زينة، ورواية الحب في زمن النفط.

### بثينة إدريس

بثينة إدريس كاتبة سعودية معاصرة التي اشتهرت في فنون القصة القصيرة، والمقالة، والخاطرة، والنقد. ولدت بثينة في المدينة المنورة. بدأت بثينة الكتابة الصحفية والأدبية من خلال الصحف والمجلات المحلية. عملت بثينة كصحفية

صحافية بالصحف والمجلات التالية : الندوة، والمسلمون، واليوم، والرياض، والبلاد، ومجلة اليمامة، ومجلة الفراشة، ومجلة المدينة المنورة. حررت بثينة زوايا في كثير من المجلات مثل زاوية "همس الفراشة" بمجلة "بلييس" اليمانية. ومن مؤلفاتها: مجموعة قصصية بعنوان "أواه يازمن الصمت" صدرت عام ١٩٩٦، ومجموعة قصصية بعنوان "هل جاء ليسرق أحلامي؟"، وخواطر بعنوان "همس الفراشة"، ومؤلف أدبي بعنوان "خطوات امرأة". أذيعت بثينة بعض القصص ببرنامج التلفزيون. وحصلت على بعض الجوائز منها: الجائزة الأولى في برنامج "المستمع يضع النهاية" من إذاعة البرنامج الثاني لعام ١٩٨٦، والجائزة الثالثة مناصفة لمسابقة القصة القصيرة بجمعية الثقافة والفنون بالمدينة المنورة لعام ١٩٩٦.

زكية علال (١٩٦٦ - )

زكية علال كاتبة جزائرية، ومتخرجة من المعهد التكنولوجي للتربية، وأستاذة اللغة العربية. بدأت زكية الكتابة في منتصف الثمانينات. نشرت زكية مؤلفاتها في عدة صحف وطنية، وشاركت في عدة ملتقيات وطنية. نالت زكية عدة جوائز منها: الجائزة الثانية للقصة عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس سنة ٢٠٠٠، وجائزة القصة لوزارة المجاهدين سنة ٢٠٠٣، وجائزة كتامة للقصة سنة ٢٠٠٥. ومن إصداراتها: "وأحرق سفينة العودة"، و"لعنة المنفى". إن القصة عند زكية علال تأخذ شكل القصة وتتماهى معها إلى درجة تنهار فيها كل الفواصل والجدران.



قمر كيلاني (1932 - )

قمر كيلاني كاتبة سورية وعضو مؤسس لاتحاد الكتاب العرب بدمشق. كتبت عدة روايات ومجموعة قصص قصيرة. ولدت قمر في دمشق وتخرجت من جامعة دمشق في الخمسينات. قامت قمر بتدريس اللغة العربية وآدابها وأصول التدريس في المعاهد العليا لإعداد المدرسين ودور المعلمين. كانت قمر عضو اللجنة الوطنية لليونسكو. ومنذ ١٩٧٦، تفرغت قمر للأدب، وتعمل حاليا رئيسة تحرير لمجلة (الأدب الأجنبية) الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب. ترجمت بعض أعمالها الأدبية إلى الروسية، والفرنسية، والإنكليزية، والفارسية، والهولندية. نشرت قمر مئات المقالات في الصحف والمجلات والدوريات المحلية والعربية منذ عام ١٩٥٥. لها عشرات الأبحاث في التراث وفي النقد، وفي موضوعات المرأة والمجتمع، وفي مناسبات تكريم أدباء معاصرين أو في رثائهم بتقويم لأعمالهم. قد تم إعداد عدد من رسائل الدكتوراه والماجستير والدبلوم حول مؤلفاتها، واعتمد بعض من هذه المؤلفات للتدريس في جامعات عربية وأجنبية. أدرج اسمها في عدد كبير من الموسوعات العالمية والعربية، وموسوعة أعلام القرن العشرين. من مؤلفاتها: التصوف الإسلامي، وأيام مغربية، وعالم بلا حدود، وبستان الكرز، والصيادون ولعبة الموت، والهودج، وحب وحرب، وامرأة من خزف، واعترافات امرأة صغيرة، وطائر النار، والأشباح، والدوامة، والمحطة، ووحلم على جدران السجون، وأوراق مسافرة.



## ليلى بعلبكي (١٩٣٦ - )

ليلى بعلبكي أديبة لبنانية التي تعتبر رائدة الرواية النسائية الحديثة. ولدت ليلى في لبنان الجنوبية. درست الآداب في الجامعة اليسوعية في بيروت. ولكنها توقفت تعليمها للعمل كسكرتيرة في البرلمان اللبناني. بدأت حياتها الكتابية كصحافية في الصحف المحلية. ونشرت روايتها الأولى "أنا أحياء" التي نالت استحسانا كبيرا في عام ١٩٥٨، مع مجموعة من قصص قصيرة. نشرت رواية "الآلهة الممسوخة" في ١٩٥٨، ومجموعة قصص "سفينة حنان إلى القمر" في ١٩٦٣. تعتبر رواية "أنا أحياء" كأولى الروايات النسائية الحديثة. لقيت الرواية نجاحا كبيرا في الأوساط النقدية، ولم تلبث الرواية أن أصبحت أشبه بـ «الظاهرة»، وكان يكفي ذكر «أنا أحياء» حتى ترسم صورة بطلتها لينا فياض في أذهان الكثيرين، نقادا وأدباء وقراء. وكان جيل من الروائيات بدأ يتأثر بـ «أنا أحياء» كثيرا. منعت وزارة الإعلام مجموعتها القصصية «سفينة حنان إلى القمر»، وكانت القصة التي تحمل المجموعة عنوانها هي الحافز نظرا إلى احتوائها الموصوف بـ «الإباحي». وحوكمت ليلى بعلبكي وأوقفت، ثم تراجع المحكمة عن قرار المنع مبرئة الكاتبة والقصة. لم تمتد تجربة ليلى بعلبكي أكثر من ستة أعوام، ثم توقفت عن نشر أعمال روائية بعد عام ١٩٦٤، وتابعت كتابة مقالات صحفية. عندما اندلعت الحرب اللبنانية في عام ١٩٧٥، هاجرت ليلى بعلبكي إلى لندن وانقطعت عن الكتابة وراح حضورها يخفت إلى أن عزلت نفسها عن الوسط العام بعد كل الضوضاء التي أحدثتها في الستينات والسبعينات.



## زينب فواز (١٨٤٤-١٩١٤)

زينب فواز العاملي هي أديبة لبنانية، شاعرة ومؤرخة، شغلت الحياة الثقافية والأدبية في مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. سبقت زينب في أدبها الأديب محمد حسين هيكل وناقست قاسم أمين بدعوته لتحرير المرأة. استقرت زينب في مصر، وساعدتها البيئة المصرية على إظهار مواهبها، فكتبت عدّة رسائل في صحف مصر الكبرى، ونالت شهرة في الكتابة والشعر والفن. كانت من الرائدات الأوائل اللاتي تجرأن على الكتابة الأدبية ولم يكن يعرف ذلك عن النساء باستثناء عائشة التيمورية، وزينب فواز. نشرت مقالاتها في المؤيد، والنيل، والأهالي، واللواء، والأستاذ، والفتى، وغيرها، وكانت في مقالاتها تدعو للنهوض بالمرأة والمجتمع عن طريق العمل والمعرفة، ودعت إلى تعليم المرأة وحرية التعليم. ولها عدد من الكتب المنشورة منها: "الدر المنثور في طبقات ربات الخدور" وأرخت فيه لـ ٤٥٦ امرأة من نساء الشرق والغرب، و"الرسائل الزينية"، و"مدراك الكمال في تراجم الرجال"، و"الجواهر النضيد في مآثر الملك الحميد"، وديوان شعر، و"الهوى والوفاء" (مسرحية شعرية)، و"حسن العواقب" (رواية).



## فريدة عطية (١٨٦٧-١٩١٧)

فريدة عطية أديبة روائية لبنانية. درست في المدرسة الأميركية للبنات، وبعد تخرجها رغبت في التدريس لتوسيع معارفها، فدرّست في بينو لمدة سنتين، ثم دعيت للتدريس في المدرسة الأميركية التي تخرجت منها. كان بها ميل إلى

الأدب والكتابة فحررت المقالات والأبحاث في العديد من الصحف والمجلات اللبنانية كـ"النشرة اللبنانية" و"المراقب" و"الأحوال" و"مدرسة التهذيب" و"المهذب". ولها خطب عديدة في الجمعيات الأدبية وفي الحفلات السنوية التي درجت المدارس آنذاك على إحيائها. وبالإضافة إلى عملها التعليمي والتربوي وكتابة المقالات اهتمت فريدة عطية للرواية فألفت فيها وترجمت عن الإنكليزية. وتزوجت من مَتَى عطية وكان كاتباً أدبياً. وتعد فريدة عطية من رائدات النهضة النسوية في لبنان في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وعرفت بالجرأة والإقدام وقوة الحجة وسرعة الخاطر مع علم جزيل وأدب وافر. تركت فريدة بعض الروايات وهي: "بهجة المخدرات في فوائد علم البنات"، و"الروضة النضيرة في أيام بومباي الأخيرة"، و"تربية البنين"، و"بين عرشين". وهي رواية طلية الأبحاث لطيفة العبارة بحثت فيها عن الانقلاب العثماني.

## ١.٧ الأسئلة للمراجعة

١. عرف الأدب النسائي
٢. ما هي أهمية الأدب النسائي في العالم الإبداعي؟
٣. ما هي العلاقة بين الأدب النسائي وحركات تحرير المرأة؟
٤. ماذا تعرف عن الكاتبة أندريه صعب شديد؟
٥. اذكر أسماء بعض الأدبيات اللاتي نجحن في تسجيل هويتهن في العالم الأدبي العربي
٦. ما هي العوائق التي تواجهها الأدبيات؟
٧. ماذا تعرف عن رواية "أنا أحياء" لليلى بعلبكي؟
٨. اكتب عن خطاب العلاقة الضدية بين الأنوثة والذكورة في الأدب النسائي
٩. اكتب أسماء بعض شاعرات عربيات في العصر القديم.
١٠. ماذا قال النابغة عن الخنساء؟
١١. لم تعتبر الخنساء شاعرة مخضرمة؟
١٢. اكتب عن إسلام الخنساء
١٣. ماذا قالت الخنساء عندما سمعت عن مقتل أبنائها يوم القادسية؟
١٤. الرثاء في شعر الخنساء
١٥. من هي الخرنق بنت بدر؟
١٦. ليلى الأخيلىة وشعرها
١٧. في أي فن اشتهرت سكينه بنت الحسين؟ وفي أي عصر عاشت؟
١٨. ما هي آثار عائشة التيمورية؟
١٩. ما هي ملامح الكلاسيكية في شعر عائشة التيمورية؟
٢٠. ماذا تعرف عن وردة اليازجي؟
٢١. لم لقبتم وردة اليازجي "خنساء العصر"؟
٢٢. ما هي أهمية قصيدة "الكوليرا" لنازك الملائكة؟
٢٣. عين مكانة نازك الملائكة في تاريخ الشعر العربي
٢٤. ما هي آثار فدوى طوقان؟
٢٥. ماذا تعرف عن سوزان عليوان؟
٢٦. ما هي أهمية "هكذا قتلت شهرزاد" لجمانة حداد؟
٢٧. ما هي أهمية الندوة الأسبوعية التي كانت تنعقد في بيت ميّ زياده؟
٢٨. ماذا تعرف عن المصيبة التي واجهتها ميّ زياده من أقربائها؟
٢٩. لم تعتبر سميرة عزام أميرة القصة القصيرة الفلسطينية؟



٣٠. فلسطين في أقصوصة سميرة عزام
٣١. عين مكانة سهير القلماوي في تاريخ تعليم المرأة في مصر
٣٢. كيف تختلف عائشة بنت الشاطئ من الأدبيات المعاصرات لها ؟
٣٣. اذكر بعضا من آثار غادة السمان
٣٤. ما هي خصائص مؤلفات غادة السمان ؟
٣٥. ما هي المصيبيات التي واجهتها نوال السعداوي بسبب مؤلفاتها ؟
٣٦. ما هي المؤلفات النسوية لنوال السعداوي ؟
٣٧. ماذا تعرف عن زكية علال؟
٣٨. اكتب عن بعض مؤلفات قمر كيلاني ؟
٣٩. ما هي علاقة قمر كيلاني باتحاد كتاب العرب بدمشق ؟
٤٠. لم منعت "سفينة حنان إلى القمر" لليلي بعلبكي ؟
٤١. ما هي الجرائد التي نشرت فيها زينب فواز مقالاتها؟
٤٢. من هي فريدة عطية ؟

## الوحدة الثانية : مختارات من الشعر النسائي

### ٢.١ لهفي على صخر فاني أرى له - الخنساء

لهفي على صخر فاني أرى له	نوافل من معروفه قد تولت
ولهفي على صخر لقد كان عصمة	لمولاه إن نعل بمولاه زلت
يعود على مولاه منه برأفة	إذا ما الموالى من أخيها تخلت
وكنت إذا كف أتتك عديمة	ترجي نوالاً من سحابك بلت
ومختنق راخى ابن عمرو خناقهُ	وغمته عن وجهه فتجلت
وظاعة في الحي لولا عطاؤه	غداة غد من أهلها ما استقلت
وكننت لنا عيشاً وظل ربابة	إذا نحن شينا بالنوال استهلّت
فتى كان ذا جلم أصيل وثودة	إذا ما الحبي من طائف الجهل حلت
وما كر إلا كان أول طاعن	ولا أبصرته الخيل إلا أفسحرت
فيذكر ثاراً ثم لم يخطه الغنى	فمثل أخي يوماً به العين قرّت
فإن طلبوا وترأ بدا بتراتهم	ويصبر يحميهم إذا الخيل ولّت
فلسن أزراً بعده برزية	فاذكره إلا سلت وتجلت

### ٢.٢ تهيد الشوق لقد غلبا - عائشة التيمورية

تهيد الشوق لقد غلبا	وأذيد النوم به سلبا
والقلب شكا حزنا ناوصبا	كم قلت إذا الشوق التهبا
	من حر غرامي وأحربا
ظبي بالسفح من الترك	ضم في الحسن بلا شريك
كم هاج فؤادا بالتراك	كم صاد عزيزاً بالفتك
	وعنائم غرته نهبا
كم راش سهما للنقل	وأصاب فؤادا لم يقل
ما زال فؤادي منذ بلى	يهوى العسال مع العسل
	ويقول وصالك قد وجبا
جفني والنوم قد إخصما	وأدى عليك قد احتكما
فبعر قوامك كن حكما	فالحق لسطوته قد رسما
	وأراه نأى عني وأبى

أعلام الحُسن لَفَدَ رَفَعَت  
وَجُيُوشِ الْفِتْنَةِ قَدَ جَمَعَت  
جَاءَتِ لِلْفِتْنِكِ فَمَا رَجَعَت  
عَنْ حَوْمَتِهَا حَتَّى وَقَعَت

مَهْجِ رَاحَتِ إِرْبَا إِرْبَا

لِلَّهِ قَوَامٌ أَنَحْفَنِي  
بِرِشَاقَتِهِ أَضْعَفَنِي  
وَحَسَامٌ لِحَاظِ أَتْلَفَنِي  
أَثْرَى مِنْهُ مِنْ يُنْصِفُنِي

إِذْ ضَمِيعُ صَبْرِي فِيهِ هَبَا

### ٢.٣ الكوليرا - نازك الملائكة

سَكَنَ اللَّيْلُ  
أَصْغَ إِلَى وَقَعِ صَدَى الْأَتَاتِ  
فِي عُمُقِ الظُّلْمَةِ، تَحْتَ الصَّمْتِ، عَلَى الْأَمَوَاتِ  
صَرَخَاتٌ تَعْلُو، تَضْطَرِبُ  
حَزْنٌ يَتَدَفَّقُ، يَلْتَهَبُ  
يَتَعَثَّرُ فِيهِ صَدَى الْآهَاتِ  
فِي كُلِّ فَوَادٍ غَلِيَانُ  
فِي الْكُوخِ السَّاكِنِ أَحْزَانُ  
فِي كُلِّ مَكَانٍ رَوْحٌ تَصْرُخُ فِي الظُّلْمَاتِ  
فِي كُلِّ مَكَانٍ يَبْكِي صَوْتُ  
هَذَا مَا قَدْ مَرَّقَهُ الْمَوْتُ  
الْمَوْتُ الْمَوْتُ الْمَوْتُ  
يَا حُزْنَ النَّيْلِ الصَّارِخِ مِمَّا فَعَلَ الْمَوْتُ  
طَلَعَ الْفَجْرُ  
أَصْغَ إِلَى وَقَعِ خُطَى الْمَاشِيْنَ  
فِي صَمْتِ الْفَجْرِ، أَصِيخُ، انظُرْ رَكْبَ الْبَاكِيْنَ  
عَشْرَةٌ أَمَوَاتٍ، عَشْرُونَ  
لَا تُحْصِ أَصِيخَ لِلْبَاكِيْنَا  
اسْمِعْ صَوْتَ الطُّفْلِ الْمَسْكِينِ  
مَوْتِي، مَوْتِي، ضَاعَ الْعَدْدُ  
مَوْتِي، مَوْتِي، لَمْ يَبْقَ عَدْدُ

في كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندُبُهُ محزونٌ  
 لا لحظةً إخلادٍ لا صَمْتُ  
 هذا ما فعلتُ كفُّ الموتِ  
 الموتُ الموتُ الموتُ  
 تشكو البشريَّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتُ  
 الكوليرا  
 في كهفِ الرُّعبِ مع الأشلاءِ  
 في صمْتِ الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواءُ  
 استيقظْ داءُ الكوليرا  
 حفدًا يتدفَّقُ مؤتورا  
 هبطَ الوادي المَرخِ الوُضَاءِ  
 يصرخُ مضطربًا مجنونًا  
 لا يسمَعُ صوتَ الباكينا  
 في كلِّ مكانٍ خَلْفَ مخلبِهِ أصداءُ  
 في كوخِ الفلّاحةِ في البيتِ  
 لا شيءَ سوى صرَخاتِ الموتِ  
 الموتُ الموتُ الموتُ  
 في شخصِ الكوليرا القاسي ينتقمُ الموتُ  
 الصمْتُ مريزُ  
 لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرِ  
 حتّى حَفَّارُ القبرِ نَوَى لم يبقَ نصيرُ  
 الجامعُ ماتَ مؤدَّنُهُ  
 الميِّتُ من سيؤبَّنُهُ  
 لم يبقَ سوى نوحٍ وزفيرِ  
 الطفلُ بلا أمٍّ وأبِ  
 يبكي من قلبٍ ملتهبِ  
 وغدًا لا شكَّ سيلقُهُ الداءُ الشريرُ  
 يا شبَحَ الهَيْضَةِ ما أبقيتُ  
 لا شيءَ سوى أحزانِ الموتِ  
 الموتُ الموتُ الموتُ

٢.٤ الشاعرة والفراشة - فدوى طوقان

هناك في الأصائل الساجيه	هناك فوق الربوة العالية
تسبح في أجوائها النائية	فتاة أحلام خالية
رفاقها ، والسرحة الحانية	الصمت والظلّ وأفكارها
	*
منبعها الحسّ ونيرانه	حياتها قصيدة فدّة
من قلق اللهمة ألوانه . .	وحلم محيرّ تائه
وإن بدت للعين شطّانه	حياتها بحر نأى غوره
	*
بصور الطبيعة الخالية	رنت فتاة الشعر مأخوذةً
ألوانه الوردية اللّاهبه	والأفق الغربي تطفو به
هوت اليها شمسها الغاربه	كأنه أرض خرافيّة
	*
لو تأخذ الكون الى صدرها	ودّت وفيها لهفّ كاسح
آياته الكبرى ومن سحرها	تحضنه وتشبع الروح من
تقبّل الغيوم في سيرها	تعانق الأرض . . تضمّ السنا
	*
تنهبه بالنظرة الواغله	ودفعت بعينها في المدى
في نشوة فائضة شامله	ما أجمل الوجود ! واستغرقت
بقلبها، بروحها الذّاهلة	ثلثهم الكون بإحساسها
	*
أيقظها من حلو أحساسها	ما أجمل الوجود !! لكنها
تودعه آخر أنفاسها	فراشة تجدّلت في الثرى
مسارح الروض بأعراسها	تموت في صمت كأن لم تفض
	*
ترفعها مشفقة حانيه :	دنت إليها و انتنت فوقها
فمتّ في أيامك الزاهية ؟	أختاه، ماذا ؟ هل جفاك الندى

هواك أنسام الربى اللاهيه؟

وأنت سكرى بالشذى و الرضاب  
راقصة فوق الربى و الهضاب  
منفعلاً من هذيان الشباب

ألهبت فيه الغيرة السّاعرة  
روّيت منه روحك الفائره .  
وأين أحلام الهوى الساحره !!

على عروس الروض بنت الربيع  
يطويك إحصار الفناء المريع  
ولا بكى الروض بقلب صديق  
أبكيك بالشعر الحنون الرقيق  
لا صاحب يذكرني أو رفيق  
بنا الى كهف الفناء السحيق !  
دوم إحصار بقلب الخضم  
و ارتعدت مرعوبة في ألم  
إلا رؤى الموت وطيف العدم  
حوّمت الأشباح في رأسها  
تنبعث النشوة في نفسها  
تخدر المحموم من هجسها  
فانحدرت تحت عباب المساء  
شاخصة المقلّة نحو السماء  
من عبث الموت و طيش الفناء !

هل صدّ عنك الزهر؟ هل ضيّعت

\*

كم أشعلت روحك حمى الصبى  
طافرةً بين رياض الهوى  
توشوشين الزهر حتى يُرى

\*

كم بلبل بالورد ذي صبوةٍ  
كم زنبق عانفته كم شذى  
فأين منك الآن دنيا الهوى

\*

ماذا؟ تموتين؟ فوا حسرتا  
أهكذا في فوران الصبى  
وحيدةً ، لا شيعتك الربى  
أختاه لا تأسى فهذي أنا  
قد أنطوي مثلك منسيةً  
أواه : ما أقسى الردى ينتهي  
واضطربت أعماقها مثلما  
و انتفضت مذعورة في أسى  
فلم يكن يصدّم أحلامها  
وحدقت في غير شيء وقد  
ولا صور الوجود خلافة  
ولا رؤى الخيال رقافة  
و دفق الليل كبحر طغى  
تخبط في الدرب و قد غمغت  
يا مبدع الوجود ، لو صنته

## الوحدة الثالثة: مختارات من النثر النسائي - I

### ٣.١ أنا والطفل - مَيّ زيادة

هناك بعيداً عن المدينة وضواحيها، في الطريق المؤدية إلى قصر كان بالأمس للخديوي إسماعيل ولم يعد له، على شط معبود المصريين ومرضع سهول إيزيس- على شط النيل النائح في سيره على رفات العذارى المبعثرة في أعماقه - هناك روضة غناء مفتوحة لجميع الداخلين وقد حفظ جوها أحلام زائريها المتأملين.

قصدت إلى الحديقة في صباح يوم منير. نبذت عني عادات المدنية فافتششت الثرى كما يفترش سكان البادية رمال الصحراء، وتمددت على العشب الأخضر في فيء شجيرة عند قدمي أحد التماثيل المنصوبة هنالك.

لم أرَ حولي سوى سيدتين إنجليزيتين مع إحداهما ثلاثة أطفال. وإن هي إلا دقائق حتى اقترب مني أحد هؤلاء، وهو صبي في الرابعة من سنواته. فناديته قائلة: (تعال إلى أيها الصغير!).

فدنا واجفًا باسمًا، فسألته: (ألا تجلس على ركبتي?). فجلس صامتًا.

ولما شعرت بثقل جسده الصغير ذكرت أخي الوحيد الميت، ووثب قلبي إلى شفقيّ وجالت الدموع بين أجناني فملت إلى الطفل أمتص من حلاوة وجنته، لاهية بتلك القبلة عن كآبتي المتصاعدة من فوادي كما يتصاعد الغيم من أطراف البحار.

ما أعذب قبلة الأطفال، وما أطيّب طعم ابتسامهم!

ثم سألت الطفل: (ما اسمك?).

قال: (روبرت).

نظرت في وجهه، فإذا به آية من آيات الجمال الإنجليزي: وجهٌ شفاف كأنما هو عصير ورد وياسمين تجمد فُنُجِتَ وجهًا بشريًا. وفم كزرّ الورد لطفًا وانكماشًا. وجبهة كبيرة عالية يخفيها شعر ذهبي مسدول عليها. وعينان لهما زرقة عميقة كزرقة البحار بعيد الغروب، وهما كبعض العيون الإنجليزية في جمودهما الظاهري وحرارتهما الخفية وحلاوتهما وتلاعبهما. نظرت في جميع هذه الملامح متمعنة، فقلت للطفل: (من أين أتيت بعينيك، يا روبرت؟! ومن أعطاك زرقتهم?).

أجاب، ولم يفهم غير كلمتي (من أعطاك):

- (ماما).

قلت: (قرّرت عينا أمك بك! وأي عمل يعمل أبوك?).

قال: ولثغاته اللطيفة تتدرج على لسانه متعثرة بشفتيه:

- (بابا ضابط. وأنا عسكري مثل بابا).

قلت: (أنت جميل وأنا أحبك يا روبرت. هات يدك).

قال: "Yes, Thank you".

يد الأطفال عجيبة حلوة كابتسامتهم. أخذت يد روبرت أقرأ فيها ما خطته يد الأقدار. يدٌ مربعة كبيرة الإبهام وفيها كل من خطوط الحياة والعقل والقلب واضح جلي، وتلُّ المريح يرتفع في تلك الكف الصغيرة متهددًا متواعدًا...

ففظرت إليه وخاطبته همساً:

- (هذه اليد التي تنقل إشاراتنا اليوم ما حفظته من إشارات الملائكة، هذه اليد التي لا تمتد إلا لمداعبة الندى ولمس الأزاهير، هذه اليد الصغيرة الطرية سوف تصير يد جندي، سوف تقبض على السيف والحربة وتطلق النيران من أفواه المدافع، سوف تفتك بحياة البشر أشراراً كانوا أم أبراراً...).

قال روبرت وهو يضرب أديم الحديقة بقدميه:

- (أنا عسكري مثل بابا!).

قلت: (نعم يا روبرت، عندما تبلغ سن التجند تصبح جندياً. وستكون جميلاً في ثوبك العسكري، ستكون جميلاً جداً، لكن أقل جمالاً منك اليوم وأنت بأثواب الطفولة. سوف تبسم لك النساء لأنهن يملن إلى الجنود، ومُذهَّبُ الأكمام والصدور يسير بهنَّ إلى عالم الأحلام. وهذه اليد الصغيرة الضعيفة سوف تكون كبيرة قادرة تؤلم وتشقى وتميت، سوف تلمس آلات التدمير والهلاك بعزم وثبات! وعيناك الجميلتان سوف تكونان عيني جلاذ يرى الدماء والدموع دون أن يلين أو يرحم... وقلبك، ترى كيف يكون قلبك الذي لا يدرك اليوم ولا يشعر إلا قليلاً..?)

(أنتكون من الكثيرين الذين لا يحسبون للعواطف في الحياة حساباً، فيلعبون ويضحكون ويتمتعون ويحزنون دون استبقاء أثر لما يختبرون، بل تمرُّ الأفراح والأتراح على نفوسهم كما تسقط دموع الغيوم على صفحة الزجاج فلا تترك عليها سوى ما لا يلبث أن يزول... أم تكون من أولئك الذين يشعرون بقوة وحدة ويتظاهرون بعكس ذلك كبيراً وخجلاً?... هل تضربك يوماً يد امرأة فتضع في عينيك للحب دموعاً وتغمد في فؤادك من اليأس خنجراً?).

(غداً، يا روبرت، تنمو جسداً ونفساً، غداً تقف على أحوال البشر فتجد ذاتك وحيداً في معترك الحياة. غداً تعذبك المسؤولية وتضنيك المجاهدة، ويلذعك لهيب الفكر وتذنيك نار الهيام. غداً تذوق ظمأ الروح. غداً تصير إنساناً، يا لهول الكلمة! غداً تصير إنساناً أي حيواناً وإلهاً معاً!...) صمتٌ طويلاً.

وفى ذلك الهدوء الشامل في حضن الطبيعة تصاعدت نغمة حلوة من أطراف الحديقة وانتشر تموجها على أنفاس الأزهار: وكان ذلك صوت المؤذن يردد في الظهرية ما أنشده في الفجر وما سيعيده عند الغروب.

فسألت: (هل سمعت الصوت، يا روبرت?).

أجاب: " Yes.

قلت: (عما قريب تعرف ما هي الميثولوجية، وما هي النصرانية، وما هو الإسلام. عما قريب تفهم ما هو التعصب الديني والجنسي والعلمي والعائلي والفردية. عما قريب تعلم أن الأنسجة التي تخاط منها أثواب العرس تصنع منها أكفان الشهداء. عما قريب ترى الأرقام يفتكون بالأقوام لأنهم محتشدون حول قطعة نسيج صبغت بلون غير لون نسيجهم. عما قريب ترى كل هذا، يا روبرت، وتشارك فيه لأنك عسكري مثل بابا!).

انفصلت عن روبرت بلا قبلة ولا تحية. أنا لم أقبله لأنني وقفت متهيبة أمام رجل الغد منه. وهو لم يقبلني لأنني لم أعطه كعكاً ولا حلواء...

(من كتاب "ظلمات وأشعة"، ١٩٢٣)



٣.٢ إهدار الدم - نوال السعداوي

بداية عام ٢٠٠٠

القلم بين أصابعي والصفحة تحت يدي بيضاء. مساحة من الفضاء تنتظر كلماتي. النافذة مفتوحة أمامي على السماء. أحملق في مساحات من الخواء. أبحث عما كان أبي يقول أنه الحقيقة. منذ الطفولة كنت أجادل أبي. لم يكن عقلي يقبل أي شيء دون برهان. يغضب أبي ويقول هناك حقائق ليس لها برهان. يرمقني بنظرة حمراء لأكف عن الجدل. ولم يكف عقلي عن التساؤل.

كان عقلي مشكلة حياتي، أردت التخلص منه منذ الطفولة، في سن المراهقة أصبحت بلا عقل، فتاة وادعة مطيعة لا تجادل، لا يدور في رأسها سؤال، أشياء أخرى تدور في جسدها، رغبات عارمة يرتج لها الجسد، أحلام في اليقظة والنوم عن الحب، أشياء لها ملمس مادي، الجسد يعانق الجسد في الليل. ترمقني أمي بنظرة حمراء لأكف عن الحب. لم يكن جسدي يكف عن رغباته.

أصبح جسدي مشكلة حياتي. أردت التخلص منه منذ المراهقة. في سنين الشباب الأولى أصبحت بلا جسد. امرأة ناصحة مثالية حسنة السير والسلوك، زوجة مطيعة لزوجها في البيت، مطيعة لرئيسها في العمل، تضحى بحياتها من أجل الأسرة وإن قامت الحرب تضحى بالأسرة وتموت فداء الوطن.

مرت بي أيام أمشي في الطريق مثل الخيال. شبح من الأموات. شاحبة الوجه مطبقة الشفتين في صمت. لا شيء يتحرك في عقلي أو جسدي. منذ زمن طويل فقدتهما. أترنج وأنا أمشي مثل خيال المآتة. كان الموت قريبا مني أكاد ألمسه بيدي. الموت من أجل الوطن من أجل الله، من أجل زوجي، يعلو الله فوق الجميع، من بعده يأتي الوطن أو الملك أو الرئيس، بعد ذلك يأتي الزوج.

في الليل كنت أهتف يسقط الملك يسقط الزوج يسقط الانجليز. كان ذلك في طفولتي، تغيرت الأسماء في مرحلة الشباب، أسمع الشباب يهتفون، يسقط الرئيس يسقط الأمريكان، أشاركهم الهتاف وأضيف من عندي ويسقط الزوج.

صديقتي صفية تهتف معي يسقط الزوج، تنضم إلينا الصديقات الأخريات سامية وبطة. الثلاثة زوجات مطيعات يحملن بالطلاق في الليل. أربعة وأربعون عاما يحملن بالطلاق. يتكرر الحلم كل ليلة حتى انتهى القرن وجاء القرن الجديد الواحد والعشرين.

ذاكرتي تروح وتجيء في الزمن على نحو عجيب يتلاشى نصف قرن في لحظة، واللحظة الحاضرة تمتد أمامي لانهائية، يلتحم الماضي بالحاضر في لحظة واحدة. الصوت يتسرب إلى أذني واضحا كأنني أسمع الآن، اقتلوا الكافرة عدوة الله. أهب من النوم على الصوت يزعق في شارع الجيزة. النافذة مغلقة بالشيش الخشبي والزجاج المزدوج. شريف نائم في سريره المجاور لسريري. كان لنا سريران منفصلان في غرفة نوم مشتركة. الجدران بيضاء نظيفة والملاءة ناصعة البياض، الأرض من البلاط الناعم، أنزلق فوقه حين أمشي، فوق المنضدة الساعة تشير إلى الواحدة، النتيجة فوق الحائط ثابتة عند ٣١ ديسمبر ١٩٨٨، عيد رأس السنة الجديدة، أشياء مفزعة تحدث دائما ليلة العيد. منذ طفولتي لا أحب الأعياد، يمتلئ قلبي بالحزن حين يتألق العالم بالفرح.

- أهدروا دمها الكافرة عدوة الله.

جفوني مثقلة بالنوم. يسرى الصوت إلى أذني قبل أن أفتح عيني. أضواء خافتة تتسرب من شقوق الشيش. أمشى إلى النافذة على أطراف أصابعي. أتوقف لحظة لألتقط أنفاسي. أطل من بين الشق. الشارع ليس فيه أحد. عربة كارو يجرها حمار، صاحبها راقد فوق ظهره يهتز مع اهتزازة العربة. سيارات مسرعة تظهر أنوارها ثم تختفي. الشق ضيق أخشى أن أفتح النافذة. الصوت يزعق، يردد بعض الأسماء، يرن اسمي واسم أبى وجدى السعداوى الذى مات قبل أن أولد.

- اقتلوهم الكفرة أعداء الله.

أذناي من وراء النافذة المغلقة تلتقطان الأسماء واحدا وراء الآخر، يرن اسمي فى الجو نوال السعداوى، يخترق رأسى مثل طلقة الرصاص. يفتح شريف عينيه. يرانى واقفة وراء النافذة جامدة مثل تمثال.

- فيه إيه يا نوال؟

- سامع الصوت؟

يفتح شريف النافذة، من أين ينبعث الصوت. الميكرفون فوق مئذنة الجامع المجاور لنا. أو الجامع الآخر الجديد فى الشارع الخلفى. أو الجامع القديم وراء الكنيسة. أو المئذنة الجديدة بدون جامع، تبرز بين البيوت من فوقها ميكرفون ضخم. يربت شريف على كتفى: نامى يا نوال وبكرة الصبح نعرف إيه بيحصل فى البلد.

يأتى الصبح ولا نعرف شيئا. لا أحد فى الكون يعرف الحقيقة إلا الله والسيد الرئيس. هكذا قال يوسف إدريس لشريف عبر أسلاك التليفون. يضحك ويقهقه بصوت يهز الأسلاك. أيوه يا شريف ما حدش عارف حاجة، البلد على كف عفريت، فاكر حريق القاهرة فى يناير واحد وخمسين، الحكومة والانجليز حرقوا البلد عشان يضربوا العمل الفدائى فى القنال، أنا متوقع حرايق فى البلد مش حريق واحد، الجماعات الإسلامية دى عملها السادات عشان يضربنا يا شريف، عشان يضرب اليسار كله، وطبعا معاه الامريكان، أنا باسمع اسمي فى الميكروفونات فوق الجوامع، الجوامع دى كلها بنتها الحكومة بفلوس أمريكا، عشان يتخلصوا مننا يا شريف، أنا عارف إن الحكومة والامريكان عاوزين يخلصوا منى أنا بالذات، لأن مقالاتى فى الأهرام أخطر من المقالات فى صحف المعارضة، عاوزين يقتلوني يا شريف.

- مش أنت لوحدهك يا يوسف، فيه ناس كثير عاوزين يقتلوهم أكثر منك، لو كانت الحكومة عاوزة تتخلص منك كانوا شالوك من الأهرام يا يوسف.

- أيوه يا شريف، لكن أنا عارف أن الحكومة سايبانى أكتب عشان تكون عندنا معارضة وديموقراطية، لكن المسألة تطورت وخلص مش عاوزين أى معارضة، على فكرة أنا سمعت اسم نوال، مش عارف ازاي يهدروا دم امرأة؟

- زى ما بيهدروا دم الرجل يا يوسف.

- لكن المرأة غير الرجل يا شريف.

- مش فاهم.

- فى الصعيد مثلا دم الرجل هو المطلوب فى الثأر، وفى السياسة أيضا دم الرجل هو المطلوب.

- ليه يا يوسف؟ هو الرجل فقط اللي عنده دم؟!!

كان الجدل يدور بين شريف ويوسف عبر أسلاك التليفون. يضحك يوسف بصوت عال، تهتز الأسلاك مع قهقهته ويتحول الحديث من السياسة إلى المرأة.

كان يوسف إدريس زميلا لأحمد حلمى فى كلية الطب وأحمد المنيسى وفؤاد محيى الدين وغيرهم من الطلبة. لماذا بدا أحمد حلمى مختلفا عن الجميع؟! الصوت الهادىء المنخفض. الكلام القليل. الخطوة فوق الأرض الواثقة غير المتسرع؟ العمل فى صمت دون ضجة. فى الاجتماعات فى المدرج الصغير كنت أراه جالسا فى الصف الأخير. يتنافس زعماء الطلبة على الميكروفون وهو فى مكانه جالس. يدقون بقبضة اليد على المنصة ويلقون الخطب يثرثرون بأصوات عالية وهو صامت. يتكلمون فى وقت واحد يقاطعون بعضهم البعض، وإذا تكلم أحمد حلمى صمت الجميع.

حين التقيت لأول مرة بشريف حتاتة عام ١٩٦٤ تذكرت أحمد حلمى عام ١٩٥١. برزت ملامحه من العدم. الجبهة العريضة والشعر الأسود الغزير. الحاجبان الكثيفان. العينان. الأنف. الصوت. المشية فوق الأرض. الكلام القليل والعمل فى صمت. مات أحمد حلمى بعد أن عاد من الحرب مهزوما. ماتت الروح قبل أن يموت الجسد. كان يحقن نفسه بالسّم لينسى الخيانة. مات شهيد الوطن مثل أحمد المنيسى دون أن يقام له حفل تأبين.

كان زعماء الطلبة مثل زعماء الأحزاب السياسية، تعلموا منهم قواعد اللعبة. لم يستشهد منهم أحد. لم تسقط من أحدهم قطرة دم. أصبح فؤاد محيى الدين وزيرا للصحة ثم رئيسا للوزراء. كان فى كلية الطب ضمن اليسار، عضو لجنة العمال والطلبة، وفى عهد عبد الناصر كان يخطب عن الاشتراكية والقطاع العام، وفى عهد السادات لم يعترض على شىء، جلس فى مقعد رئيس الوزراء، يتلقى التوجيهات من السيد الرئيس، الانفتاح والرأسمالية والسوق الحرة والقطاع الخاص، ثم سقط فى مكتبه ومات بالسكتة القلبية وهو رئيس الوزراء فى عهد حسنى مبارك.

التقيت بفؤاد محيى الدين لأول مرة عام ١٩٥١، فى اجتماعات طلبة كلية الطب بالمدرج الصغير، تخرج قبلنا بعدة سنوات وتخصص فى الأشعة. طويل القامة نحيف الجسم أنيق الملابس يشبه الطاووس. عيناه تتجاوزان كلية الطب إلى وزارة الصحة ومجلس الوزراء. التقيت به أكثر من مرة وهو وزير للصحة. كنا نتحدث فى الأدب والابداع. تتجاوز عيناه جدران مكتبه ويتنهد قائلا: كنت أتمنى أن أكون أديبا مبدعا مثلك ومثل يوسف إدريس، ثم يضحك، أياه رأيك يا نوال نتبادل المواقع، تبقى أنتى وزيرة الصحة وأنا أديب مشهور فى العالم زيك، أضحك وأقول له: إذا بقيت وزيرة الصحة لازم يرفدونى بعد أسبوع.

صوت أبى الميت كان يهمس فى أذنى، الوزير يأتى بقرار ويذهب بقرار، والأديب لا أحد يعينه ولا أحد يعزله إلا قلمه. لم يكن فؤاد محيى الدين صديقا، رغم حديثنا عن الأدب والفن، كان هناك حاجز زجاجى يقف بينى وبينه، ربما كنت أحس أن ميوله السياسية تحجب ميوله الأدبية، أن طموحه فى المنصب العالى أكثر من طموحه الأدبي. يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٨١ كان لقائى الأخير بفؤاد محيى الدين، كان جالسا إلى جوار رئيس الدولة حسنى مبارك فوق الكنبه المذهبة فى قصر العروبة، إلى جواره محمد حسنين هيكل، ثم فؤاد سراج الدين، وشخصيات أخرى ممن أدخلهن أنور السادات السجن قبل اغتياله بشهر واحد، هذه الاعتقالات عرفت باسم مذبحه سبتمبر الأسود عام ١٩٨١، كنت واحدة من المسجونات، ثم أصدر حسنى مبارك قرارا بالإفراج عن الدفعة الأولى من المسجونين بعد اغتيال السادات بشهرين،

انفتح باب السجن فى صباح ذلك اليوم وحملونى من الزنزانة داخل سيارة فولكس فاجون إلى قصر العروبة، حيث استقبلنا رئيس الدولة ورئيس الوزراء فؤاد محيى الدين.

كنت أرتدي حذائى الكاوتش أخفيت داخله رسالة إلى رئيس الدولة أطلبه بالتحقيق فى جريمة اعتقالى دون سبب إلا كتابة رأى. قبل الاجتماع أخرجت الرسالة من حذائى وناولتها لرئيس الدولة. قرأها كلها حتى آخر سطر ثم قال لى: معلش يا دكتور نوال.

رنت كلمة معلش فى اذنى غريبة، هل يضعوننى فى السجن دون جريمة ثلاثة شهور ثم يقولون لى معلش؟ ألقى رئيس الدولة علينا خطبة عن نظامه الجديد فى ظل الديمقراطية والحرية والقانون، علينا أن ننسى الماضى ونتطلع إلى المستقبل، قال بلغته هذه الحروف، بلاش ننبش القبور، وكان يعنى أن ننسى فترة السجن، أن ننسى ما فعله السادات بنا وأن ننتظر ما يفعله الرئيس الجديد.

لم يقتنعنى هذا الكلام، كنت أرى أن تقييم الماضى ضرورة لعدم تكرار الأخطاء، وأن التحقيق فيما حدث يتمشى مع القانون، ثم لماذا ينتظر الناس دائما ما يفعله رئيس الدولة، لماذا لا يعملون بدلا من مجرد الانتظار؟ ولماذا يصبح رئيس الدولة هو الفرد الوحيد الذى يعمل والذى يتخذ القرار ونحن علينا أن نجلس فى بيوتنا ومنتظر؟

بدأ فؤاد سراج الدين يتكلم بعد أن انتهى رئيس الدولة من كلمته. قال فؤاد سراج الدين، يا سيادة الرئيس لقد أنابنى زملاي لأتكلم عنهم، دهشت لهذه العبارة الأولى، لأن أحدا لم يأخذ رأبى فى موضوع الإنابة هذه، كان عددنا ثلاثة وعشرين شخصا، منهم واحد وعشرين رجلا، وامرأتان فقط، أنا واحدة منهما، سألت زميلتى: هل تعرفين شيئا عن هذه الإنابة؟ هزت رأسها بالنفى. سألت الزميل الجالس إلى جوارى، فقال، لا أعرف شيئا يا دكتور نوال لكنى سمعت أن محمد حسنين هيكل اقترح على اثنين من أصدقائه المقربين إنابة فؤاد سراج الدين للتحدث نيابة عن الجميع، وأبلغوا رئيس الوزراء الدكتور فؤاد محيى الدين بهذا القرار لإبلاغه للسيد الرئيس، وبالطبع لم ياخذ رأينا أحد، قلت كيف ينوب عنا أحد دون أن نعلم؟ هذا تصرف غير ديموقراطى كيف نقبله نحن الذين دخلنا السجن لأننا اعترضنا على التصرفات غير الديمقراطية؟ ابتمس الزميل فى أسى وقال، يا دكتور نوال الأفضل أن نسكت وإلا أعادونا إلى السجن!

لم يعبر فؤاد سراج الدين عما كان يجيش فى صدرى، رفعت يدي وطلبت الكلمة بعد أن انتهى من كلمته، رمقتنى بعض العيون بشيء من الضيق، ثلاثة أو أربعة من كبار الأسماء الذين كانوا داخل السجن بالأمس ثم أصبحوا اليوم شيئا آخر، يتطلعون إلى رئيس الدولة ورئيس الوزراء ويرمقون المساجين الآخرين شذرا.

### ٣.٣ الجثة.. وشجرة زيتون - قمر كيلاني

يقول الرواة إنه منذ خمسين عاماً أو أكثر أو أقل اجتاحت قريتهم قوى معادية وظالمة أتت من المجهول.. فهدمت البيوت.. وشردت الأهالي.. وتمزقت جثث الأطفال فوق التراب وغدت أشلاء.. فجمعوها ودفنوها في قبر واحد بعيداً عن المكان الذي كان يسمى القرية.. ولم تسلم إلا جثة واحدة لطفل اسمه (أرغد) احتضنه أبوه مغتسلاً بالدم والدمع.. وذهب الى آخر شجرة زيتون على حدود بستانه الكبير فدفنه هناك.. ومنذ ذلك اليوم تقلبت الحياة بهذا الأب بشكل غامض حتى أطلق الناس عليه (الزاهد) أو (العابد).. فهو لم يعد يختلط بأحد في المدينة الصغيرة القريبة.. ولم يعد يفارق تلك الشجرة.

ويقول الذين عرفوه من أقربائه وممن احتفظ ببقية صلة معه إنه فقد عقله كله أو بعضه.. إذ لم يعد يهتم بكرم الزيتون الذي كان ملكه.. ولا ببقايا بيته الفخم الذي تهدم.. واكتفى بغرفة من الطين قرب تلك الشجرة حيث دفن ابنه ليعيش فيها وحيداً كأنما ينتظر مصيره المجهول.

ويقول الذين كانوا يأتون إلى بستان الزيتون في أيام القطاف إنه لم يكن يهتم بما يأخذونه من الثمار.. وما يجمعونه أيضاً من الأعشاب البرية النافعة التي تنبت هناك.. بل كان ينظر إليهم نظرات غائمة دون أن يعترض على شيء.. ولما تسلط الأعداء الذين هدموا القرية على بستان الزيتون لم يكن ليهتم أيضاً.. وكأن هذه الغرفة الطينية.. وتلك الشجرة هما عالمه الوحيدان اللذان تنساب من بينهما أيامه مثل قطرات من ماء تتحدر ببطء من صخرة عالية.

ويقول الذين أحبوه من أولئك الصغار الدارجين مع أمهاتهم لجمع الزيتون إنه كان يعانقهم.. ويقبلهم.. وتنفرد الدموع من عينيه.. ويقول لهم: “أرغد لم يمت إنه نائم هنا”.. ويشير إلى حفرة صغيرة قرب شجرة الزيتون مغطاة بقطعة قماش أبيض نظيف.. ولما قالوا له مرة: “دعنا نكشف عنه يا جدنا”.. قال: “لم يأت الأوان بعد”.. فيطرقون برؤوسهم تهيئاً وخشية ثم ينسحبون بعد أن يعطي كلاً منهم قطعاً من الحلوى البيضاء قائلاً لهم: “هذه هي الحلوى التي يجبها أرغد”.

أما الذي روى القصة الغربية العجيبة فهو إنسان واحد ائتمنه ذلك الرجل على سره، وقال له: “إن أرغد يكبر يوماً بعد يوم.. سنة بعد سنة.. وهو نائم في هذه الحفرة”.. وكشف له الغطاء فرأى رأساً لطفل رائع الملامح.. بشعر ناعم مسترسل.. ووجه شاحب كالشمع.. وعينين مطبقتين بهدوء كأنه النوم.. وفرع الرجل وأوشك أن يولي هارباً لولا أن تماسك، واتهم نفسه بأنه يتخيل، أو يحلم، أو أن الصورة المنبعثة من ذهن الأب قد انتقلت إلى ذهنه فانطبعت فيه، ومن ثم تجلت بطاقة روحية هائلة فرأى الذي رآه.

وسكان المدينة الصغيرة القريبة يعرفون أن هذا الأب المفجوع بابنه (أرغد) يأتي بين سنة وأخرى ليشتري أقمشة بيضاء.. يعود بها إلى غرفته المنعزلة.. ثم يبدأ بتمزيقها إلى قطع لا تلبث أن تختفي تحت الأرض.. ولما سألته تلك الطفلة رفيقة (أرغد) التي أصبحت فتاة: “ماذا تفعل يا عمي بهذه الأقمشة؟”.. قال لها: “إن أرغد يكبر ويكبر.. وكلما كبر احتاج إلى كفن أكبر”.. فتضحك بطفولتها الراقدة في أعماقها وبشبابها النضر البراق رغم الدمعة التي تسقط من عينيها إذ تتذكر (أرغد).

لماذا يا ترى أصبح والد (أرغد) هكذا؟ ولماذا يعتقد أنه يكبر وهو تحت التراب؟.. ولما سألت أمها عن ذلك السر قالت لها: “مسكين والد أرغد.. لم يعد يفرق بين الحقيقة والخيال.. وبين الوهم والواقع.. والموتى لا يكبرون في قبورهم”. فتجيبها البنت: “لكنه يقول إنه نائم.. نائم.. فتردها الأم عنها بعفوية ولطف، وتقول لها: “لن تذهبي إليه بعد الآن فالمشوار طويل وقد يصيبك الأذى”.

ولم تدرك (ليلي).. وهذا اسمها.. ما هو هذا الأذى.. هل هو من طول الطريق.. أو ممن ستصادفهم أثناء ذلك.. أم من والد (أرغد) بالذات؟.. لكنها ولمدة طويلة طويلة لم تعد تذهب.. واختلطتها أضواء العاصمة أو ما يسمونها عاصمة لتكمل دراستها.. وبعد ذلك تزوجت وأنجبت.. إلا أنها لم تنس (أرغد).. ولا والده وهما يزورانها في أحلامها.

والفصول الأربعة تقول إن الرجل في الصيف كان لا يغادر ظل الشجرة التي تنفرط أوراقها فكأنما يشوى جسده بسياج من نار حتى يصبح مثل شريحة لحم مقعد يمضي نهاره في الغناء الحزين.. وربما لبكاء المكتوم.. حتى إذا جاء الليل دخل الى الغرفة وبدأ بتمزيق القماش الأبيض، ثم يحفر حفرة على امتداد جسد ابنه ويدخلها بعناية كما لو أنه يلف فيها جسد ميت عزيز.. ولكن المسافة بين رأس الولد (أرغد) وبين تلك الحفرة أصبحت ممتدة كما لو أنه كان ولدًا عملاقاً. هل يا ترى ينتبه إليه أحد وقد أصبح رقماً منسياً يفعل ما يشاء في هذه الأرض التي غدت شبه قفراء؟

وفي الخريف يتلفت وراءه ليرى من سيأتي ليأخذ ثمار شجرة الزيتون.. وكأنه يستعجلهم ليريحوه منها بعد أن يحتفظ بقسم ضئيل ينقعه في سطل ماء نحاسي. لماذا يستعجلهم إنه يخاف من رياح تهب فجأة فتنتثر التراب حيث يحفر وتعيق تمزيق الأقمشة التي يلف بها جثة ابنه كما يقول أو هو يلف الوهم. أما في الشتاء فلا أحد يعرف معاناته الشديدة وهو يحفر في أرض طينية ثم يعود ملوثاً بالتراب كما لو أنه خارج من قبر والقماش الأبيض على كتفه لأنه لم يستطع الوصول إلى الجثمان كما يقول.

وفي مرة عاند العواصف والأمطار، وقطع مسافة طويلة في أرض أصبحت خالية من العدو الذي انشغل عنه بالخطوط الأمامية، وقرر أن يلف الجسد الحبيب بقطع جديدة كأنما يخاف عليها أن تغرق أو أن تبرد.. ومع كل الجهد والتعب.. وما تبقى في العروق من نشاط لم يستطع أن يحفر عدة سنتيمترات، فعاد متثاقلاً وأقدامه تغوص في برك الماء.. وقلبه يغوص بالدموع المنسكبة من عينيه بينما المطر يببله بالكامل. ولما وصل إلى غرفته وجد أن الريح قد كسرت بابه، ودلقت السطل الذي وضع فيه الزيتون، وبعثرت قطع الخبز اليابس فحمل بقايا رغيغ وخرج إلى العراء، ونظر إلى السماء، وعاد بخبزه المبلل ليلتقط حبات زيتون لا تزال المرارة فيها فأكل وأوى الى فراشه المبلل أيضاً وهو يرتجف من البرد، وسد باب غرفته بما يملك من أثاث مهترئ. ولم ينس تلك الليلة لأنه رأى في حلمه (أرغد) وهو يفتح عينيه ضاحكتين ويبتسم له بعذوبة، ويقول: “الربيع أت يا أبي.. الربيع أت”.. فقرر أن يصبر حتى تباشير الربيع ليخرج الى مهمته الخرافية وهي لف الأعضاء التي تنمو وتكبر وتتطاوّل بأقمشة جديدة هي الأكفان الجديدة.

وعندما رآه الناس وهو يسعى إلى البلدة الصغيرة ذهاباً وإياباً يشتري الأقمشة ويعود بها قالوا إنه كما روى بعضهم يزرع هذه الأقمشة في التراب حيث جثة ولده. وبما أنهم يشفقون عليه لم يعودوا يسخرون منه كما لم يعودوا يلقون بالأى إليه.

صحيح أن الربيع أتى ونشط الأب المتهدم في متابعة الحفر والتكفين لكنه لم ينتبه أنه اخترق أمتاراً كثيرة في الأرض المحظورة التي انسحب منها العدو إلا أنه لا يسمح لأحد باختراقها. ولما رآه جنود العدو بمنظيرهم المكبرة لم يهتموا به على الإطلاق فهو شبه عارٍ، لا يحمل سلاحاً، ليس منه خطر، ولا أكثر من أنه يحفر في الأرض، ويضع خرقة بيضاء ثم يطمرها وينصرف. وقالوا لعله متسول أو مجنون أو من هؤلاء المخبولين الذين يظنون أن بساتينهم فيها كنوز عليهم أن يبحثوا عنها.

ربيع امتدت أيامه والرجل يركض كل يوم مسافة أبعد من التي تركها بالأمس.. ونبتت أعشاب برية لم يأبه لها.. ونبعت عيون ماء صغيرة لم يفكر أن يغرف منها شربة ماء.. وزقزقت عصافير لم يسمعها وهي تقطع المسافات بحثاً عن البساتين التي قطعت وما عادت مأوى لها.

يا الله.. (أرغد) يكبر.. ويكبر.. ويكبر.. وكل يوم يحتاج جسده إلى قماش جديد.. ويهمهم لنفسه: “لا.. هذه ليست جثة.. وهذه ليست أكفان.. إنها ولدي وسيقوم يوماً من نومه الطويل هذا”. وعندما اشتعلت المعارك من جديد ومن بعيد كان الرجل يخرج من غرفته رغم دوي الرصاص ليسابق نفسه في عمليته المقدسة والتي لم يكتشفها أحد.. صباح بعد صباح.. وعودة في الليل والطائرات تهز الفضاء وترتج الأرض لها تحت الأقدام وهو لا يعبأ بشيء من هذا.. فليفعلوا ما يريدون مادام يملك زيتونة ثمر.. وجسد ابن نائم سوف يقوم يوماً من الأيام. ولم يحيره أبداً هذا السؤال: كيف يكبر.. ويكبر.. وهو ممدد في حفرته في سكون موت خرافي؟ حتى جاء ذلك اليوم:

صدر بلاغ عن قيادة العدو بأن يحرقوا تلك الأرض حيث غرفة الرجل والزيتونة وجثة (أرغد)، لأنهم يريدون أن يبنوا سوراً يفصل بينها وبين معسكراتهم خوفاً من تسلل سكان البلدة التي هاجر إليها أهل القرية، أو من أولئك الذين يشتبهون بهم وهم يلتقطون حبات الزيتون أو يقطفون الأعشاب البرية. ولما استشعروا نوعاً من الهيبة والحذر من هذا الرجل الغامض فقد قصدوا البلدة المجاورة، واستعانوا ببعض الذين هاجروا إليها من سكان القرية ليأتوا معهم ويقنعوا هذا الرجل بالتخلي عن غرفته وشجرة الزيتون، ولم يخطر لهم بالطبع جثة الابن (أرغد) الممددة على عمق قليل في الأرض.

وتبادل الناس في البلدة قصة الرجل مع جثة ابنه، وهمهم بعضهم بأصوات خفيضة أنهم لا يريدون الذهاب فانسحبوا بينما وافق بعض الشيوخ والذين أكلوا من خيرات بستانه أن يذهبوا لا إطاعة لأمر العدو بل تخليصاً لهذا الرجل المسكين من مصير محتوم لأن الجرافة قادرة في أي لحظة بل في لحظة أن تنفذ كل ما خطط له العدو فذهبوا. ولحق بهم بعض الشبان المتحمسين بعد أن أخفى عدد منهم سكاكين في جيوبهم، وسبقهم بعض الصبية الصغار حفاة وقد حشوا جيوبهم بالحجارة والحصى.

عندما وصل الجميع إلى شجرة الزيتون والغرفة المهدامة تحلقوا حول الرجل واختلطت أصواتهم وكل منهم يدلي برأيه في وجوب الانسحاب من هذه البقعة المطلوبة من العدو، وهز الشيوخ برؤوسهم ومسحوا على لحاهم ولم ينطقوا بحرف بينما تحمس الشبان بعض الشبان المشفقين على الرجل وقرروا أن يدافعوا عنه وعن شجرة الزيتون وقبر (أرغد)

المدفون دون شاهدة أو بلاطة أو أي شيء يدل على أنه قبر. وتقاقر الصغار هنا وهناك كأنما يبحثون عن سر مجهول يريدون أن يكتشفوه أو كأنهم يلعبون ويعبثون مع شيطان غامض.

وفجأة ارتجت الأرض بسيارات من جيش العدو، وبدأت خطوات الجنود قوية وثابتة على الأرض تقترب من هذه الجموع لترى ما النتيجة هل سيغادر الرجل أم لا؟ وها هي البنادق على الأكتاف والمسدسات في الأيدي.

مشهد لم يصوره صحفي.. ولا أي وسيلة إعلامية مرئية.. لكنه انطبع في الذواكر والقلوب وسوف يظل مثل أسطورة.. فقد رفع الرجل والد (أرغد) يده في الهواء ممسكاً بقطعة قماش أبيض، ثم قال بصوت بدا وكأنه آتٍ من كهف: - أنا أذهب معكم حيث شئتم.. خذوا الغرفة وشجرة الزيتون والأرض إن استطعتم أن تحملوها ولكن دعوني أخذ جسد ابني.

وتكلم الجنود فيما بينهم بعصبية، ولم يوافقوا، وركل جندي حجراً بقدمه وصوب بندقيته فجمد الجميع بينما تقدم أحدهم وهو يعرف لغة العدو وطلب إليهم متوسلاً أن يدعوا الرجل يأخذ جثة ابنه إن بقيت هناك جثة فقد مضت عليها أعوام وأعوام ولا شك أنها بقايا من عظام.. فماذا يضيرهم هؤلاء الجنود لو أن الرجل تأبط كومة من عظام وانصرف وهو الذي كان يملك كرم الزيتون الكبير، والبيت الذي يشبه القصر الكبير، وهو الذي أمضى عمره في هذه الحالة من الحب الكبير لابنه الصغير؟

وقبل أن يقرر الجنود الموافقة رجع عدة شبان وأخذوا ينبشون التراب بأيديهم، فانكشف الوجه الجميل الصامت وكأنه لم يدفن إلا للتو بالعينين المطبقتين، والفم الذي ارتسمت عليه ابتسامة، فشهبوا وتراجعوا ثم تحمسوا وأصبحت أيديهم تغوص في التراب أكثر. وصعق الجنود لكنهم دخلوا في دائرة سحرية لموقف لا يمكن أن يتخيلوه حتى في أفلامهم أو في أحلامهم.. الجثة سليمة لم يمسهما أذى فليخرجوها إذن.. لينشلوا أولاً الكتفين، ثم الذراعين، ثم الصدر، ثم البطن، ثم الأطراف السفلية وصولاً إلى الأقدام. ولكن الرعدة كانت تهزمهم حتى أوشكوا على السقوط في الإغماء أو الغيبوبة، فالذراعان كبيرتان ليستا لطفل بل لرجل قوي تنتهيان بأكف عريضة.. والصدر واسع مثل صدر رياضي.. والبطن قوي وسليم.. أما الساقان فيلزمهما أمتار وأمتار حتى ينتهيا.. وقبل الوصول إلى القدمين كان أكثر الجنود قد ولوا هاربيين مذعورين ولم يبق إلا واحد هو الذي روى القصة. أما أهالي البلدة المجاورة الذين كانوا أهل القرية التي أبيت عن وجه الأرض فظلوا ثابتين مغروسين في الأرض وقد قرروا ألا يتزحزحوا قبل أن يأخذوا الجثة معهم.. وسيحملها الجميع على أكتافهم ولن تنقل عليهم.. وتوقعوا ذلك المشهد المهييب وهم يدخلون البلدة بجثة رأسها طفل.. وجسدها عملاق.. إلا أن الجندي الوحيد الذي صمد أمام المشهد استطاع ويداها ترتعشان أن يطلق من بندقيته عدة رصاصات اخترقت جسد والد (أرغد) فتكوم في الأرض تسيل منه قطرات دماء شحيحة فصرخت الجموع أطفالاً وشباناً وعجائز مسنين: "الله اكبر.. الله اكبر". وتهاطلت الحجارة على الجندي المسعور، وانهالت السكاكين فوقه، ولم يلبثوا أن حملوه وألقوه بعيداً حيث يمكن أن يلتقطه رفاقه، ثم عادوا يجمعون التراب بأيديهم ويقطع ثيابهم ليرموها فوق الجثتين معاً جثة الأب وابنه، وقرروا أن يحرسوا هذه القطعة من الأرض ويفتدوها بأرواحهم لأنها مباركة ولأنهم شهدوا فيها معجزة.

وكلما رويت هذه القصة من أفواه الذين رأوها ظن الآخرون أنهم يببالغون أو يتوهمون فيقولون لهم اذهبوا وانبشوا الأرض سترون الجثتين معاً (أرغد) ووالده. لكن من ذهب منهم بعد سنوات من القتال مع العدو لم يجدوا أثراً لشجرة



الزيتون، ولا للغرفة المهذمة، ولا حتى لأي أثر لجثة.. إلا أن القصة أصبحت رواية تروىها الأمهات للأبناء.. والأجداد للأحفاد.. عن جثة أسطورية تكبر وتكبر وهي في التراب دون أن تتحول إلى عظام أو رفاة.  
من سيعرف الحقيقة وقد قام السور حائلاً بينهم وبين تلك البقعة المباركة؟ والأمل يظل حمامة بيضاء ترف مع أحلامهم لأنهم سيعودون يوماً.. وسيجدون جثة الطفل (أرغد) كما هي ممددة تحت التراب برأس طفل.. وجسد عملاق.. ولا يهم إن فنيت جثة والده.. فالجثث عادة تتحلل إلا إذا تقدست من السماء.

## المراجع المهمة

١. جرار، حسني أدهم، (٢٠٠١)، شاعرات معاصرات، الأردن، مؤسسة زيتونة
٢. فاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدبي، جزءان، بيروت: دار الجيل
٣. كوك، مريم، الكاتبات العربيات، من الأدب العربي الحديث، عبد العزيز السبيل وغيره (تحرير)، جدة: النادي الأدبي الثقافي
٤. كوكان، محمد يوسف، أعلام النثر والشعر في العصر الحديث، مجلد ١ & ٣، مدراس
5. Badawi, M.M.(Ed.), (2006), Modern Arabic Literature, London: Cambridge University Press
6. Jayyusi, Salam Khadra, (2005), Modern Arabic Fiction : An Anthology, New York: Columbia University
7. Meisami, j.s. & Starkey, p., (2000), Encyclopedia of Arabic Literature, London: Routledge.
8. <http://aissaoui.allgoo.net/montada-f7/topic-t2373.htm>
9. <http://cmadp.com/layla.htm>
10. <http://palestinianwriters.blogspot.com/2006/12/1.html>
11. <http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=81&msg=1129192479>
12. <http://www.adab.com>
13. <http://www.alnoor.se/article.asp?id=737>
14. <http://www.arabwashingtonian.org/arabic/article.php?issue=27&articleID=629>
15. <http://www.diwanalarab.com/spip.php?article1543>
16. [http://www.moheet.com/show\\_news.aspx?nid=81412&pg=8](http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=81412&pg=8)
17. <http://www.muslimgirls.co.cc/?p=6>
18. <http://www.palissue.com>
19. <http://www.saudiinfocus.com/ar/forum/showthread.php?t=11680>
20. <http://www.syrianstory.com>
21. <http://www.wikipedia.com>